9me Année No. 431 — Lundi - 6 - 10 - 1941

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٣١ « القاهرة في يوم الإثنين ١٥ رمضان سنة ١٣٦٠ — الموافق ٦ أكتوبر سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

الفهـــــرس

السعادة ...

للأستاذ عباس محمود العقاد

أرسل إليّ الأديب عبد القادر محمود الذي عرف نفسه إليّ بأنه « أحد الكتاب الحدثين » مقالاً عن السعادة مشفوعاً بخطاب يرجوني فيه « أن أصغي إلى حديثه قليلاً ثم أرد على صفحات الرسالة الغراء بما يروي ظمأه ويرشده إلى الحق إن كان قد حاد عن سبيله »

وخلاصة مقال الأديب أن السعادة وهم ليس له وجود ، وأن بعض الأشقياء مطبوعون على الشقاء فهم به سعداء ، وأن كل ما يقال عن السعادة إعادة لما قيل

ويسألني الأديب بعد ذلك ماذا أقول ؟

فلا أدري هل سأعيد قديماً بما أنا قائل في هذه الصحيفة ، أو أنني مسوّغ هذه الإعادة بتصوير طريف

ولكني لا أحسب الكاتب مطالَباً باختراع الآراء التي لم يسبق إليها ، ولا أرى عليه من غضاضة أن يبدي رأياً تقدم أصحاب الآراء بإبداء مثله ، وإنما الشرط أن يصدر عن تجربة ، وأن يروي عن خبرة ، وأن يكون لكلامه لون من نفسه وحسه وتفكيره ، ولا عليه بعد ذلك أن يتشابه ما يقول وما كان قد قيل

والسعادة في رأيي لا استحالة فيها إلا كالاستحالة في كل مطلب من مطالب هذه الدنيا .

فأنت إذا أردت كسوة جميلة في نسجها ولونها وتفصيلها

فأنت إذا أردت كسوة جميلة فى نسجها ولونها وتفصيلها وثمنها ومتانتها وجدتها حيث توجد الكثيرات من أمثالها

أما إذا أردت كسوة هى المثل الأعلى الذى لا يعلى عليه ولا يجارى فى جمال النسج وجمال اللون وجمال التفصيل وسهولة الثمن وطول البقاء فقد أردت المستحيل ، لأنك أردت المثل الأعلى الذى ليس له مثيل ، وهو بطبيعته فوق ما ينال

والسعادة إن أردتها سعادة لحظات أو سعادة لذات معهودات فأنت واجدها لا محالة فى وقت من الأوقات

أما إن أردتها سعادة العمر أو سعادة فى كل شىء لا نظير له ولا انقطاع لها فتلك هى الاستحالة التى لا تنفرد بها السعادة ، ولا فرق بين تعذرها وتعذر كل مطلوب على تلك الشريطة

فليست السعادة بوهم ، وليست الكسوة بوهم ، وليست اللقمة السائغة بوهم ، ولكن اللقمة السائغة مع رخصها وخجل بعض الناس من المقابلة بينها وبين السعادة تساوى السعادة الكبرى فى استحالتها إذا أنت خرجت بها من عالم المعهود وارتفعت بها إلى عالم الأحلام المأمول

لأن الاستحالة من طبيعة الأحلام ، وما من حلم يتحقق إلا بطلت تسميته بالحلم وانتقل إلى المحسوسات والمدركات

فالسعادة طبقات وأصناف

والصنف الرخيص منها موجود وموفور ومبذول ، والطبقة القريبة منها على متناول الباع الطويل والباع القصير

فإذا قيل : إن أصنافاً منها لا تبذل ولا تتوافر ، فكذلك الصنف الغالى من كل شىء ، حتى العدس والقطن والورق والتفاح

وإذا قيل : إن الطبقات العالية منها لا تنال أو لا تنال فى كل حين ولا ينالها كل إنسان ، فكذلك كل طبقة رفيعة من كل سلعة وكل ثمرة وكل موجود

هناك لحظات سعيدة فى الحياة . فهناك إذن سعادة لأحياء

ولكن ليس فى الدنيا أناس سعداء ، لأن السعادة اللازمة للانسان فى كل حالة وكل مطلب هى المثل الأعلى ، وهى الحلم ، وهى الغاية التى لا تدرك ، والبغية التى لا تنال

وما هى السعادة بعد هذا ؟

هل هى من عالم السكينة أو من عالم الحركة ؟ وهل السعيد من لا يتحرك ، أو السعيد من لا يسكن ؟

هى هذا وذاك ... ! !

فللسكينة سعادتها وللحركة سعادتها ، ولكنهما لا تتشابهان :

سعادة السكينة رضى وارتياح خاليان من الشوق والطموح ، وسعادة الحركة تقدم ونجاح خاليان من القناعة والاكتفاء

ومن يبغ هذه لا يبغ تلك ، ومن طلبهما فليطلبهما متفرقين فى زمنين مختلفين ، لأنهما لا يجتمعان

وما لنا لا نقول : إن المثل الأدنى فى التعاسة نادر كالمثل الأعلى فى السعادة . فأشقى الأشقياء وأسعد السعداء فى الدنيا اثنان متكافئان متعادلان ، ولعلهما لا يوجدان ! !

ولو خرج أحد من الرحالين ليجوب أقطار الأرض باحثاً عن أشقى شقى للزمه من الوقت والعناء قريب مما يلزمه فى بحثه عن أسعد السعداء !

فلا يقل حانق على السعادة إنها مستحيلة فى هذه الدنيا ، لأن استحالتها من جنس كل استحالة ، ولأن يسرها من جنس كل يسر ، ولأن الفرق بين المثل الأعلى والمثل السائر فيها كالفرق بينهما فى أكلة أو لبسة أو رشفة أو ما شئت من متع الحياة

وهى ليست — بعد — شيئاً واحداً كتلك الجوهرة المكنونة التى يحكون عنها فى الأساطير ويتخيلونها فى كل يد تمتد بها على استواء ، لا فارق بين يد العبد ويد السيد ، ولا بين يد الجاهل ويد الخبير

وإنما السعادة سعادات : سعادة هذا شقاوة ذاك ، وسعادة إنسان فى حين من الأحيان غير سعادته فى غير ذلك الحين

أتسألنى عن السعادة المطلقة بالقياس إلى كل إنسان وإلى كل حين ؟

تلك ليس لها وجود ، وكذلك كل شىء مطلق من القيود والملابسات فى عالم القصور والفناء

* * *

ولنعلم أن اختلاف الناس فى أمر السعادة إنما هو اختلاف شعور قبل أن يكون اختلافاً فى الرأى والنظر

فهم يشعرون بالسعادة على اختلاف ، وإن فكروا فيها على اتفاق ؛ وهم يختلفون فى شعورهم بين عمر وعمر وبين حالة وحالة كاختلافهم فى كل ما يحبون وكل ما يكرهون

وأرجع إلى نفسى فأرانى قد شعرت بالسعادة على وجوه قلما تتماثل فى بضع سنوات

فى الشباب كنت أقول لها :

لا تطمعى اليوم منى   بالسعى خلف خيالك

فقد سألتك حتى ملت طول سؤالك
وقد جهلتك لما سحرتنى بجمالك
فلا تمرى ببالى ولا أمر ببالك
أشق الأنام أسير معلق بحبالك

تلك دالة الشباب يحسب أن السعادة خليقة أن تسعى إليه ، وأنه إذا أومأ إليها بيده فلم تبادر إلى لقائه فقد أسرفت عليه فى الدلال ، واستوجبت منه الإعراض والملال

وبعد حين كنت أحسب السعادة فى النسيان فأقول :

لذة النفس فى السلافة والشعر وفى الحب والسكرى والغناء
خير ما فى الحياة ياقلب ما أنسا ك ذكر الحياة والاحياء

وتلك هى مرحلة التجربة الأولى فى انتظار التجربة الثانية .

فأما التجربة الأولى فهى تجربة الفتور الذى يعقب الإلحاح الباكر : إلحاح الشباب فى الآمال

وأما التجربة الثانية ، فهى التى تعقب ذلك الفتور أو تلك الراحة ، من نشاط ووثوب

وجاءت فترة كنت أحسب السعادة فى الخطر :

عش آمن السرب كما تشتهى ما نحن ممن يغبط الآمنين
إن حياة الأمن فى شرعنا مشنوءة مثل حياة السجين
كلاهما يخفره حارس مسدد النظرة فى كل حين
أيتها الأخطار علمتنا بأننا الأحرار لو تعلمين

وهذه هى الفترة التى كنت أرى فيها الراحة حظاً للوضيع والتعب قسمة مفروضة على العظيم

إن الشق الذى لا صنو يشبهه وللأصاغر أشباه وأمثال

ثم تكاملت عواطف النفس فتاقت إلى نصيبها من المجاوبة الناجحة والمقابلة المستوفاة ، وأيقنت أن السعادة مشهود لا يرى بعينين اثنتين بل بأربعة أعين ، وعاطفة لا يحسها قلب واحد بل قلبان متفقان ، فمن رامها بعينين وقلب فكأنما يرومها شطراً مسلوخاً من جسم ميت ، لأن الأجسام الحية لا تعيش شطرين

إن السعادة لن ترا ها فى الحياة بمقلتين
خلقت لأربع أعين تخلو بها ولمهجتين
لك مقلتان ومهجة أترى السعادة شطرتين؟

والتقيت بالزهاوى رحمه الله وأنا أومن بأن السعادة حقيقة وليست بأكذوبة ، فلما قال الأستاذ الزهاوى : لا سرور فى الحياة ولا لذة ، وإنما اللذة عدم الألم . قلت : هذا كقولنا إن الحياة عدم الموت ، والأولى أن تعكس القضية فيقال : إن الموت عدم الحياة

قال : ولم تقرن اللذة بالحياة وتجعل لهذه حكم تلك فى القياس ؟

قلت : إن الحياة قوة إيجابية لا قوة سلبية ، وكذلك الشعور بما يوافقها هو قوة إيجابية من نوعها وليس امتناع قوة أو عدمها ؟

والآن ؟

تسألنى ما قولك الآن !

قولى الآن أننى أعرف السعادة من وجهها ومن قفاها ، وفى صدقها وفى ريائها ؛ ولكننى أقاربها وأنا مشفق من عواقبها ، إذ أنا على يقين من كشف الحساب الذى يعقب كل نشوة من نشواتها . وكشف الحساب هذا عملة مسكوكة من المحظورات والمخاوف والشكوك ، وهى العملة التى تشترى بها السعادة على اختلاف أصنافها وطبقاتها ، فعلى قدر السعادة يكون الثمن ، وعلى قدر النشوة يكون الحذر والألم والتنغيص !

ولا أكتفى مع هذا بأن أقول : إن الخوف لازم لأداء ثمن السعادة ، بل أزيد عليه أن الخوف لازم لمعرفتها ولو بذلت لك بذل السماح ، وإن الخوف حافز إليها يغريك بنشدانها . فمن لم يخف لم يسعد ، وليس بالعالم الذى لا خوف فيه حاجة إلى السعادة !

عباس محمود العقاد

٩ – أومن بالإنســـــان !

للأستاذ عبد المنعم خلاف

استجابة

أعود إلى الكتابة تحت هذا العنوان استجابة لنداء الحياة ونداء النفس ؛ فقد نادتنى الحياة الانسانية الراهنة الزاخرة إلى الايمان به وبمستقبله برغم إثمه وشره فى عصره هذا ، وحملتنى على ذلك بنبوتها ومعجزاتها . والحياة المدنية الحالية نبوة ! نبوة شيوعية ... أخذت جميع أمم الأرض بمعجزاتها وأخضعت أعناقهم بأدواتها المأخوذة من أسرار الطبيعة . فلنعرفها على حقيقتها . ولنعلم أنها باب الملكوت الذى وعدت به رسالات الشرق الأولى التى وجهت الانسانية

إنها نبوة الطبيعة وقوانينها ، وحقائق الأشياء وبراهينها ... لا نبوة الارشاد والتربيب والكلام الذى ألقاه الرجال الآباء فى سمع الانسانية وهى فى أدوار تكوين الضمير وتطبيع الأعصاب وتوجيه الأخلاق بالرحمة والاخلاص وسمو النظرة إلى الانسان فى حياته هنا وفى مصيره هناك ... وهى صفات لا بد منها فى المهود والمدارج ...

فان أنا لم أستجب لنداء هذه الحياة بالجسم الخفيف السريع ، والفكر اللطيف الملاح الحاذق الفطن لأسرارها ، الواعى لخطرها وقيمها ، العارف باتجاهات قافلتها ... كنت من المتخلفين البلداء الكافرين بنعمة الله ! ولله فى هذه الحياة المدنية الحالية نعم جليلة لا يكدرها إلا عنف وحماقة وطيش من بنيها

وقد نادتنى النفس التى حاولت جهدى أن أحفظ لها حدودها وطابع عالمها الخاص وألا أسمح بطغيان الجسد عليها طغيانا يجعلها تذهل عن ذاتها وتخلط بين معدنها الخاص والمعادن الأرضية إلى الايمان بها كذلك ، وحملتنى على ذلك بما كشفته لى من آفاقها الخاصة التى لا دخل للتعليل البيولوجى والفسيولوجى فيها

وكنت حريا — وأنا أطلب الحق — أن أستمع للنداءين فأوفق بين نداء النفس ونداء الحياة ، وأن أرى ضلال الذين عكفوا على الحياة المادية وحدها أو على النفس وحدها ولم يزاوجوا بينهما

إنتقال أسرار الطبيعة إلى الفكر — خليفة القهار — إدراك المادة ثم النفس ثم الله — لا عمق فى العالم المادى — الفكر مجال مؤقت ومجال منتظر — باب مفتوح وباب مغلق — مضى عهد مضغ الكلام — لا سدود أمام الانسان — الطبيعة هى الحكم فيما يمكن وما يستحيل — تربية تعلم غزو الطبيعة — الطبيعة المطيعة — عصر الاحساس بقدرة الفكر — أسئلة يجب ترديدها دائما

ألقت الطبيعة أكثر صورها إلى فكر الإنسان ، وانتقل إلى ذهنه جانب كبير من أسرارها وقوانينها ، فصار يقلدها ويصنع فى موادها ما يشاء من ألوان التجسيم والتشكيل والتحريك ، ويسلط بعضها على بعض ، وصار له مقام معلوم ملحوظ بين عوامل التكوين والتخريب فيها ...

وقد بنى أساس هذا التقليد على قواعدها الكلية ، وبقى التنويع والتفريع الذى لا ينتهى فى الجزئيات والأشكال

وقد وصلت يده إلى منابعها وموادها الأولية : فهو يبحث الآن فى الذرّة والكهرب والأثير ، ليعرف البادئ الأولى للمادة والقوة والدفعة الأولى التى ابتعثتهما ودفعتهما ...

فما ذا ينتظر الإنسان بعد فراغه من هذا التسلط ؟ وما هى النتائج ؟ أهى المغالبة والمنافسة والشهوة على الأساليب التقليدية الجاهلية ؟ إن هذه نتائج لا تتلاءم مع عالم فكره العالى ، ولا يصح أن تكون أهدافاً لهذه الصرامة والجد المظيم الذى تسير به الحياة وقوانينها فى خدمته ... وإن المغالبة والمنافسة والشهوة بأساليبها المعروفة الوضيعة ، ينبغى أن تكون غير ذات خطر عنده ، بعد أن عرف آفاقاً جديدة لشهوات رفيعة ، وهى تحقيق أحلامه فى الكشوف العلمية والانطلاق السريع بالطيران والسبح والسبق وإزالة الحواجز والسيطرة على القوى الآلية ، وغير ذلك من طلائع مجده وملكوته المرتقب !

إن الله قاهر فوق الطبيعة ، وهو يدرب « خليفتـه » فى الأرض على التغلب على العقبات التى تعترض طريق أحلامه الطليقة وأفكاره المحررة من قيود المواد الثقيلة . والله أنشأه فى الضرورات والآلام ليفتق هو الحيلة للخلاص منها ، ويكمل وسائل السيطرة الذاتية على المادة ؛ وإذا اطرد السير على منهاج تاريخه الذى عرفناه ، فسوف يتغلب على كل شىء

إن فكر الإنسان قانون ينمو ويتدرج غير واقف عند حد ؛ وقوانين الطبيعة صارمة جامدة متحجرة . ونموه فى ذاته يجعل الطبيعة نامية به . ألا ترى ما يستحدثه فيها من المعجبات التى لا تنتهى ؟

وأرجو أن يفهم هذا القول فهماً عميقاً ، لأننا إذا فهمنا فكر الإنسان على هذا ، أدركنا موضعه ورسالته فى الوجود ، وأحللناه محلاً رفيعاً يدفعه إلى العمل والسير فى منهج محدد واضح ، وحملنا ذلك على أن نحوطه دائماً بقوانين تحفظه من الارتداد والضلال ، ونتدرج به حتى نستوعب كل مباحث المواد والقوى ، ونستخرج به أسرارها الكامنة ، وننتقل به نقلة تسلمنا إلى الوقوف على عتبات عالم آخر ، لعله أن يكون عالم النفس ...

وإن إدراك النفس لا يتأتى إلا بعد إدراكها كما فى الكون المادى ؛ وهذا هو سر قلقها ونبشها فى الطبيعة وعدم رضاها عن ركن واحد منها ؛ وكلما أخذت من الطبيعة سراً ، أحست أنها

تقترب به إلى إدراك ذاتها الجزئية ، لتدرك من وراء ذلك علماً من الروح الأكبر !

أجل . إن إدراك الكون لا بد منه لإدراك النفس ، إذ أن الفكر يرى كل عمق فى الحياة المادية يصير ضحلاً بعد ترديد النظر عليه واستيعابه بالإدراك . وطبيعى أن تشعر النفس بعد هذا الاستيعاب أنها أوسع وأعمق من الموجودات المادية ؛ وأن ترى آفاق الحياة المادية عددية لا أكثر وليس لها عمق ولا نهائية ؛ فهى فى موجودات الطبيعة ومستحدثات الإنسان لا تتعدى اختلاف النسب التركيبية بين العناصر التى تزيد قليلاً على التسعين

وما يخيل إلى البعض من أن هناك أعماقاً وأغواراً لا تنتهى فى المادة إنما هو صورة مما يحدث للناظر إلى لوحة فنية بارعة ذات صنعة موحية مثيرة للشعور باللانهائية . حتى إذا ما كشط سطحها قليلاً تذكر أنها ليست أكثر من تمويه وتخييل وبراعة فى بسط الأصباغ والأضواء والظلال وقبضها ، وتكشّف له السطح الزاخر باللانهائية عن باطن محدود لا يتعدى ألوان الطيف السبعة !

إن الإنسان لم يعد يؤله الماء والنار والهواء والتراب ويفرغ عليها أوهام القداسة والهول اللذين كانا لها فى ذهنه قديماً ، بعد أن حلل عناصرها وركبها وتسلط عليها وسبر أغوارها . ولم تعد النفس العالمة التى تشرف على لجة البحر أو لجة الهواء أو أغوار التراب أو جحمة النار ، ترى فيها أكثر من مواد وقوى عمياء محكومة بقوانين أخذتها النفس فى حوزتها وجعلتها من مدخرات فكرها ، وتستطيع أن تولد بها ناراً وهواء وماء . . .

إنى أشعر حينما أقلب بصرى فى آفاق السماء وآفاق الأرض أن فكرى لا يستطيع التعمق فيها إلى ما لا نهاية ، بل يقف عند نهايات معينة هى العناصر المحدودة التى تألفت منها مادة السماء والأرض ، والنسب الهندسية والحسابية التى قام عليها بناء الأجسام وتشكيلها ؛ ثم يبدأ الإحساس بفراغ وعماء لا صور فيه ولا خواطر عنه

وطبيعى أن نظرة مثل نظرتى هذه لا يكون وراءها إحساس بخشية من الطبيعة ذاتها كما كان الأمر عند سكان الأرض القدماء الجاهليين، لأن حدودها رئيت وأسرارها عرفت وصورها طبعت فى النفس، ولكن يكون وراءها إحساس بخشية ورهبة من ذلك الذى خلقها هائلة هكذا وجعلها بهذه النسب الرياضية والهندسية والقوة الدائبة الجبارة . . .

إذاً ما هو المجال الحيوى غير المحدود لهذا الفكر الإنسانى الذى يرى عمق الكون المادى ضحلاً بعد ترديد النظر عليه ومعرفة أسرار تركيبه وقوانينه الهندسية والرياضية ؟

إنه لا بد عالم لا نهائى لا تدركه الأبصار والمناظير ولا تحلله المخابير ، ولا تسبر آفاقه المسابير والمعايير ، ولا تدركه علوم الزمان والمكان !

وطبيعى أن هذا المجال الحيوى بهذا الوصف لا يمكن أن يكون للفكر الإنسانى قدرة على إدراكه هنا فى هذه الدار التى نعيش فيها بالحواس وقيود المواد الثقيلة الكثيفة ، والفكر المحدود

ولهذا يجب أن ينصرف الفكر الإنسانى عن محاولة اقتحام هذه السبحات ويتوجه إلى المجال المحدود المؤقت الذى وضعنا فيه لندركه هو أولاً ونفرغ من استيعاب أسراره وظواهره

وإن من يريد التعمق الآن فى إدراك ما وراء الطبيعة ولا يقنع منه باللمحات والخطفات فلن يظفر بمحصول غير الشرود والخبال

وقد برهن تاريخ الإنسان على ذلك . فالأمم التى لا تزال تطلب فى هذا العصر علم اليقين بالنفس والله قبل إدراك قوانين العلم الطبيعى ، والتى لا تزال تطلب الله عن طريق الشعر والوجدان وحده كالهندوكيين ولا تطلبه عن طريق البحث فى أرضه وهوائه ومائه والتطلع العلمى إلى سمائه ، ولا تَقُصُّ آثار يده فى صنع نماذج الطبيعة لتعرف مقدار ما عنده من العلم والإحاطة بالجزئيات والكليات، ولا تلخص أسرار صنعته وتختزلها فى قوانين ومعادلات حسابية وجبرية ، ولا تحاكى نماذج الطبيعة ، إنما هى أمم بدائية ضالة طريق تحقيق الأوطار والأشواق إليه ، جل مجده ، قليلة العلم بما عنده من أفانين تتجدد ولا تنفد ، تعرفه عن طريق العواطف والرموز، لا عن طريق الفكر والوضوح

إن الإرادة العليا مصرة على إغلاق ما وراء الطبيعة الآن أمام فكر الإنسان ، ولعلها تفتحه بعد أن يفرغ من إدراك كل ما فى الطبيعة أولاً

أما الطبيعة ذاتها فقد دل تاريخ العلوم على أن أبوابها تفتح لمن تركوا اتخاذ الكلام غاية وحيدة للحياة ، وعكفوا على محاريبها وأطفالها وموجوداتها يقلبون النظر والفكر واليد فيها ثم يتكلمون بعد ذلك . . .

إن الكلام وسيلة لا غاية . هو قوالب لاختزان المعانى التى تنشأ من المزاوجة بين خواطر الفكر وخواص المادة . هو أوعية

الحقائق المرفوعة من الأجسام، إلى عالم التعبير والصور والأرقام.
فلا يصح أن تمتلئ بتكاذيب الأماني وتخييلات الأحلام، إلا أن تكون تمهيداً من عالم الخيال والمثال لعالم الواقع. وكثيراً ما هدت سوانح الشعر إلى حقائق العلم...

* * *

فلا يضمن أحد السدود النظرية أمام عمل الإنسان في الطبيعة ما دامت هي تلبيه وتتفتح له وتنتج. ولا يجوز حمله على السكون والركون إلى مواريث الأفكار القديمة التي تجعل الطبيعة أمام الإنسان حرماً مقدساً يجب التهيُّب من الشروع في تغيير شيء فيه أو تنقيحه بالزيادة أو النقصان...

فهي وحدها الحَكَم الذي تُرضى حكومته في العمل فيها أو تركه...

فما دامت تفتح له الأبواب وتهتك الأستار فليدخل وليتوغل وهو موقن بأن هذا عمله الذي خلق من أجله... وليس إبقاء الطبيعة كما هي بدون تغيير عبادة" كما كان الزعم القديم، ولكن صار تغيير الطبيعة إلى الأصلح هو العبادة...

والتربية الناجحة هي التي توحي للنفس ألا تتقهقر وتتضاءل وتنزوي في نفسها أمام قوى الطبيعة، بل تجعل من النفس قوة غازية موجبة غير سالبة، تؤثر في الطبيعة بالتسخير والتحويل والتنقيح... والتربية الشرقية على العموم لا تزال تؤول قصور النفس الناشئ عن الجهل والكسل والعجز أمام الطبيعة بتأويلات تحمل فيها الأقدار العليا أكثر مما تحتمل، وتفر من وجه السدود والعوائق تحت تأثير قناعة مصطنعة تحيكها أخيلة طفلية، ولا تأخذ ما في الحياة وإنما يأخذها ما في الحياة

وقد كان الاعتماد على القوى السحرية هو أساس العمل لتحقيق الأماني؛ والآن صار الاعتماد على القوى الآلية في الطبيعة هو أساس ذلك العمل

لقد قدمت الطبيعة الطاعة أمام فكر الإنسان؛ فهو يأخذ نواصي كثير من قواها بقوانينها هي، وقد عرف الأبواب الخفية التي يتسلل إليها منها فأمعن في غزوها

وإن أعمال العلماء الطبيعيين قد اكتسبت من جبروت الطبيعة شيئاً من الهول والاجتياح والاتساع؛ فمدافع كروب الثقيلة البعيدة المرمى، والقنابل الشديدة الانفجار، والقلاع الطائرة، والمناطيد، والخزانات العظيمة، والمحطات الكبرى لتوليد الكهرباء، والمصانع الواسعة، والإذاعة المبثوثة باللاسلكي وتمهيد الطرق العظيمة كطريق نيويورك — ميامي مثلاً، أو إكسبريس الشرق وغير أولئك... كلها أعمال عظيمة تمتاز بطابع الاتساع والهول والجهد الجبار

ولا يتوهمن متوهم أن هناك عداوة وغيظاً وحرباً ذات حقد بين الإنسان والطبيعة، وإنما الطبيعة صدر رحيب كصدر أم يمرح عليه أطفالها

نحن بنو الطبيعة ونتاج عواملها وتأثيراتها الظاهرة والخفية، جسمنا منها وعقلنا وتجاربنا، ولكن روحنا من الله بارئها؛ ولذلك كان لنا قدرة عليها وافتنان في تنقيح موجوداتها ومحاكاتها والزيادة عليها... فلنبدأ عصر يقظة بالإحساس بحياتنا الممتازة، والإحساس بقدرتنا الفائقة على الأعمال العظيمة. وليكن ديننا هو حيرتنا ودهشتنا: كيف خلقنا؟ وكيف اقتدرنا؟ وكيف نعلم؟ وكيف نعمل؟

إن الراحة الدائمة هي في أن نلقي بأجسامنا على صدر الطبيعة مفكرين فيها باحثين عاملين... وبأرواحنا بين يدي ربها متعرفين إليه صابرين على الدهشة والحيرة والإيمان بالغيب حتى يأتينا اليقين في الآفاق وفي الأنفس. ولا بد وراء ذلك من تأويل ويقين!

قد يطير الطير في أجواز الفضاء وهو في ذهول... وقد يسبح الحوت في جوف العباب وهو في ذهول... وقد تَدْرُجُ الوحش والأنعام والبهائم على أديم الأرض وهي في ذهول...

ولكن ابن الإنسان ينبغي له أن يتساءل دائماً: كيف أحيا؟! وكيف أفكر؟! وكيف أدرُج؟! وكيف أسبح؟! وكيف أطير؟! ثم كيف أريد وأقتدر؟!

وينبغي له ألا يغفل عن ترديد هذه الأسئلة:

ما الذي أخرج الإنسان من ركام المَوَات والجمود ومختلط القوى العمياء التي تزخر بها الكون؟

وما الذي وضع فكر الإنسان واختياره وسط الدورات الجبرية التي تتداول الأرض؟

وما الذي هيأ له مهاده الوثير المريح المستقر وسط النيران والصخور وتدافع القوى العمياء؟

إن رحلة واحدة في جوف الماء الزاخر، أو الهواء الدافع، أو النار الموارة، أو التراب الثقيل الفادح المتراكم... كافية أن تشير لنا إلى موضعنا وخصوصياتنا في الكون، وإلى رعاية من أخرجنا وسط هذه الأهوال والقوى العارمة المجنونة في مهاد من رحمته بين عوامل جبروته وسطوته!

عبد المنعم محمد خلاف

التصريح بعد التلميح
في توجيه الجيل الجديد
للدكتور زكي مبارك

كنت أوهم قرائي أن غايتي من المصاولات القلمية هي إيقاظ الحياة الأدبية بعد أن طال عليها الهجود . وذلك غرضٌ نبيل ولكنه أصغر من الغرض الذي أتسامى إليه ، وهو نقل المجتمع في أخلاقه وآدابه من حال إلى أحوال

وقبل المضيّ في شرح الغرض الذي أرمي إليه بهذا المقال أذكر أن المجتمع المصري مجتمع سليم ، فقد نهض بأعباء لا ينهض بها من يكون في مثل حاله من التعرض لمكاره التقلبات الدولية . وخبرتي بطبقات المجتمع في كثير من البلاد الشرقية والغربية دلتني على أن المجتمع المصري مفطور على التماسك ، وأقنعتني بأن شبان مصر على جانب من الأخلاق التي تسوغ أكابر الرجال ، وإلا فكيف سَلِمتْ مصر من التصدع برغم ما تعانى من حوادث وخطوب ؟

هذا حق ، وإذن فلا خوف على مصر ما بقيتْ تلك المناعة من الانحلال

ولكني مع ذلك خائف على مصير بلادي . ففي كل يوم أرى جماعات تنزى الشبان بالرجعة إلى العصور السحيقة ، عصور الجمود والخمود

ومن عجيب ما يقع في مصر أن تكون الدعوة إلى الأخلاق مقصورة على أناس لا يعيشون إلا بأسندة من المجتمع ، مع أن العقل يوجب أن تصدُر الدعوة الأخلاقية عن رجال أقوى من المجتمع ، رجال يقيمون البراهين على أنهم في حيوية ذاتية تعصمهم من المداهنة والرياء ، وتضمن لهم النجاة من مزالق التصنع والازدلاف

الدعوة إلى الأخلاق تصدُر عن الأقوياء لا عن الضعفاء ، لأن الأصل في الخُلُق أن يكون قوة روحية وعقلية وذوقية تصل بصاحبها إلى شرف الثقة بالنفس في غير ازدهاء ولا اختيال

أما صدور تلك الدعوة عن أناس لا يستطيعون مواجهة أمواج الحياة إلا إن أمددناهم بالعون والرعاية فهو عمل لا نرضى عنه إلا إذا نوينا التصدق والإفضال

وأقول بصراحة إني لا أستريح إلى من يدعوننا في كل يوم إلى التخلق بأخلاق العصور الذواهب ، بعد أن عرفتُ ما عرفت من أخبارها السود ، فقد كان الرجل يُسجن وتُستصفَى أمواله بلا تحقيق ، لأتفه الشبهات ، وكان التاريخ يُكتَب بالأجر فيجوز فيه الكذب والتهويل بلا حساب

في العصور الماضية وُجِد حكام ولم توجَد شعوب ... وإني أحب أن يكون فينا رجل مثل عمر بن الخطاب ، ولكني أكره أن نعيش على النظام الذي عاش عليه عصر عمر بن الخطاب ... وأنا أرحب بعودة هرون الرشيد ، ولكني أكره أن يعود عصر هرون الرشيد ، فما يسمح عقلي بقبول الصورة التي عاش عليها المسلمون في عهد ذلك الخليفة العظيم ، وإن لُوِّن عهدُه بروائع الألوان

وما رأيكم في الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي وُلد في بلادنا المثالية ؟

كان غاية الغايات في إيثار العدل ، وأنا أتمنى أن يعود ، إن كان للأموات إلى الدنيا مَعاد ، ولكني أكره أن يعود عهدُه مرةً ثانية ، فقد كانت الأمم الإسلامية في تناحُر وشقاق ، وكانت الإدارة الحكومية أضعف من أن تجمع الشمل ، وترأب الصدع ، وترتق الفُتوق ، فكانت أيامه قنطرة تحمل أثقال الفتن من جانب إلى جانب ، بلا نظام ولا وثاق ، وهي أيام لها سوابق ولواحق ، وبشؤمها المأثور هوت الأمم الإسلامية إلى المهاوي التي سجّلها التاريخ

وخلاصة القول أن « السَّلف الصالح » لا يتمثل في غير الحكام العادلين ، وهم آحاد أو عشرات ، أما الشعوب في تلك العهود فلم يكونوا يحتكمون إلى غير السيف ، وقد كان وحده الفَيْصل في أكثر ضروب الخلاف

ماذا أريد أن أقول ؟

أريد النص على أن التعلق بأهداب العصور الماضية ضلال في ضلال ، وأن الذين يريدون أن يردّونا إليها ليسوا إلا أحياء يحملون قلوب الأموات ، وإن تردّوا بأردية الصالحين والأتقياء !

لم يكن للشخصية الفردية وجود صحيح في العصور الخوالي ، ولا كان أحد يجرؤ على مواجهة الحكام بنقد ما يقع في أعمالهم من جور واعتساف ، إلا نوادر من المعارضات قام بها أفراد من الزهاد والصوفية . نوادر فَسرح بها عشاق الصراحة والعدل

فسجلوها بطنطنة وتهليل ، لأنها كانت في أنظارهم من جملة الغرائب والأعاجيب ... وهل يُنَص على شيء إلا إن كانت فيه غرابة توجب الالتفات ؟

وخلاصة القول أني أدعو إلى مدنية العصر الحديث ، فهي آخر ما اهتدت إليه العقلية الإنسانية ، وإن لم تخلُ من نقائص وعيوب . وسنساير هذه المدنية إلى أن تجيء مدنية أفضل منها وأنفع ، على فرض أن العقل الإنساني يرتقي من يوم إلى يوم . ولعله يكون كذلك بفضل ما يرتطم فيه من مآثم الطغيان الدولي ؛ وهو طغيان يخلُق النفرة من البغي والعدوان ، ويورّث نار الثورة على الظلم والظالمين

والحق أن عيوب المدنية الحديثة ليست بشيء بجانب مزاياها الأساسية ، وإنما يقع الخطأ من الغفلة عما لها من محاسن ، والوقوع فيما لها من عيوب . ولو كان لنا جميع فضائل الأقوياء وجميع مساويهم لتبدّل الحال غير الحال وصرنا على جانب من المَنَعة نصاول به من نعاصر من كبار الشعوب ، ولكن الخوف يساورنا من ناحية واحدة ، هي صعوبة التسامي بالفضائل وسهولة التردي في العيوب

وهنا نقطة دقيقة لا أحب أن يَغفُل عنها قرائي ، فقد يتوهمون أني أنهاهم عن اتباع ما ورثوا من محمود التقاليد ، — وهذا وهمٌ فظيع — ففي التقاليد القديمة أشياء وأشياء تستحق الإعجاب . وليس عندي ما يمنع من أن يكون فينا من يساير المحمود من تقاليد القرن الثالث أو الرابع ، على شرط أن يحسّ تلك التقاليد إحساساً يمنحها قوة الفاعلية الأخلاقية ، أما متابعة السلف بلا وعيٍ ولا إحساس فذلك ضربٌ من الجمود البغيض ، لأنه يردّنا إلى الحيوانات التي تسير في طريقها المرسوم بلا تبصّر ولا إدراك . وبالإشارة يكتفي اللبيب !

لك أن تساير ما تشاء من المبادئ الأخلاقية ، ما دمت تؤمن بالمبدأ الذي ارتضيته منهاجاً لحياتك ... وقد أصل إلى أبعد الحدود فأقول : إنه لا خوف عليك من التخلق بأبغض الأخلاق في نظر المجتمع ، على شرط أن تكون اقتنعت في سريرة نفسك بأنك على هدًى وأن معارضيك في ضلال . فالذي نشكوه هو ضعف العزيمة الخُلُقية ، كأن نرى جماهير تسير سير القطعان بلا إرادة ولا تمييز ، وتلك بداية الخذلان

يجب حتماً أن تكون لك إرادة صحيحة فيما تنصرف عنه وما تُقبِل عليه . ولا قيمة لطواعيتك لآداب المجتمع إن خلَتْ تلك الطواعية من النية ... وهل يثاب من يقرأ القرآن على طريقة الببغاء ؟

لقد أنكر قوم صحة الصوم بالنسبة إلى من لا ينوي الصيام . فما معنى ذلك ؟ معناه أن العمل بلا نية ضياع في ضياع

وأنت قد رأيت ناساً تأدبوا بأفضل ما أُثِر من آداب المجتمع ، ثم ظلوا متخلفين . ورأيت ناساً ثاروا على المحمود من تقاليد المجتمع ، فما ضرّهم ذلك ولا فاتهم شيء من الطيبات . فهل تعرف سرّ هذه الظاهرة الحيوية ؟

يرجع السرّ إلى أن النية هي الأصل في موجبات الضر والنفع ؛ فالذي يساير التقاليد الحميدة خضوعاً للمجتمع بدون أن يكون له في الإيمان بها نصيب يظل طول عمره ضعيف الكفاية الأخلاقية ؛ وقد يُنسى فلا يشهد يوم الحساب ، لأنه صار أداة آلية ، ومن كان كذلك فلا مكان له بين من يستحقون الحمد ، ومن يستأهلون الملام ... والذي يثور على المجتمع وهو مؤمن بأنه على حق — وإن كان في الواقع من المبطلين — هذا الثائر قوي جداً من الوجهة الأخلاقية ، وهو أقرب إلى الله ممن يسايرون التقاليد الحميدة وهم غافلون عن مدلولها الصحيح

وهنالك طبقة منحطة أبشع الانحطاط ، وهي الطبقة التي تثور على التقاليد المحمودة بلا نية ولا إرادة ولا عزيمة ، وإنما تصنع ما تصنع على سبيل التظرف السخيف ، لأنها سمعت أن الثورة على تقاليد المجتمع تعد أصلاً من أصول التمدن الحديث ، وهذه الطبقة هي التي تعوّق الوثبات الإصلاحية ، وهي التي تعطي الحجة لأهل البلادة من دعاة الخضوع لقديم التقاليد ، بلا تفريق بين الزائف والصحيح

وهؤلاء المتظرفون السخفاء هم خصومنا الألداء . فإليهم يرجع السبب في نفرة الجمهور من الوثبات الإصلاحية ، وإن كان حالهم أقل بشاعة ممن يسايرون القديم على علاته ليسرقوا ثقة المجتمع الغافل عن مسالك أهل الرياء

والرأي عندي أنه لا قيمة لأي عمل إن لم يَصدُر عن النفس بحرارة وإيمان ، وإن كان في ذات نفسه من جلائل الأعمال ، لأن القيمة الأخلاقية ترجع في جوهرها إلى النية الصحيحة

فيما نأتي وما ندع ، بغض النظر عن الاهتداء إلى طريق الصواب. وقد ينتفع المخطئ أعظم الانتفاع بما يزاول من أخطاء ، لأن الله لا يحاسب من يقعون في الخطأ عن جهل ، ولأن أعمالهم حين تتسق مع ضمائرهم تصون الشخصية الخلقية من الانحلال ، ولا كذلك من يعملون الصالحات بغير نية أو عقيدة ، فأعمالهم لا تقدم ولا تؤخر

وفي رياضة النفس على التطبع بكرائم الأخلاق أواجه الموضوع بعبارة أوضح وأصرح فأقول :

إن عندنا اليوم جمهورين يقتتلان حول القديم والحديث من التقاليد ، ولكنه اقتتال غير منبعث عن عقائد راسخة الجذور في الصدور ، ومن أجل هذا ظل عديم الجدوى في إيقاظ الحياة الأدبية والاجتماعية ، وقد ينقضي هذا العصر بدون أن نشهد ثورة فكرية تحل عقال الأفئدة والعقول كالثورة التي شهدها من عاصروا محمد عبده وقاسم أمين

ولكن ما أسباب هذا الجمود الدميم ؟

ترجع الأسباب إلى نوع الحياة التي يحياها المفكرون في هذا الجيل ، وهم فريقان : فريق يعيش في ظل الوظائف الحكومية ، وفريق يعيش في ظل المنافع السياسية

أما الفريق الأول فأسير للمثل المغربي : « صاحب الوظيف وصيف » وانطباق هذا المثل على الموظفين لا يحتاج إلى بيان . فالموظف في مصر يهدد في رزقه وأرزاق أبنائه حين يتعرض لغضب المجتمع ؛ والمجتمع يغضب لأضعف الأسباب ؛ وهو يريد أن يكون الموظف أداة حكومية كالأداة التي تسجل حضور الموظفين في الصباح بدون أن تعرف ما تصنع ، فإن استباح الموظف لنفسه حرية الفكر والقول فله الويل ! ... أليس في الدنيا أناس يحرضون الرؤساء على مرءوسيهم بالخطابات السرية أو بالغمز المرذول في بعض المجلات ؟

وعلى هذا يكون الأمل ضعيفاً جداً في انبعاث الحياة الفكرية من بيئات الموظفين ، مع أنهم صورة الاستنارة الفكرية في جميع البلاد ، بفضل حظوظهم من التثقيف والتهذيب

وأما الفريق الذي يشتغل بالسياسة من أهل الفكر والعقل فالأمل في ثورته على غفلة المجتمع أضعف من الضعف ، لأن هذا الفريق يفكر دائماً في المعارك الانتخابية ، وهي معارك لا يفوز فيها من يتعرض للقال والقيل ، ولو كان من أكابر الحكماء

السياسي لا ينجح أبداً إلا إذا راعى أهواء المسوسين ، وفيهم الأحمق والعاقل ، والبليد واللبيب ، على تفاوت في هذه الصفات لا يسرني أن أقول رأيي فيه بغير التلميح

وعلى هذا يضعف الأمل في انبعاث الثورة الفكرية من بيئات السياسيين ، كما ضعف الأمل في انبعاث تلك الثورة من بيئات الموظفين .

فإلى أين تسير بلادي الغالية ؟ وكيف يجوز أن يمر بها زمن طويل أو قصير وهي محجوبة عن أقباس الحرية الفكرية ؟

هذا رجل يظاهر التمدن القديم ليقتات من فتات الرجعيين ، وذاك رجل يظاهر التمدن الحديث لينتفع بجاه أدعياء التجديد ، وذلك مخلوق يساير أولئك وهؤلاء بلا بصيرة ولا يقين ، لأنه في حقيقة أمره حيران ، أولأنه ألف السمسرة في ميدان الأخلاق !

الرجعي المؤمن بالرجعية غير موجود ، وإنما هو شبح يتوهم أن له منفعة في مؤازرة الرجعيين الزيفين

والمجدد المؤمن بالتجديد موجود ، ولكنه غير مزود بالشجاعة الوافية ، بدليل أنه يترك أخاه دريئة لسهام السفهاء ، فلا يدفع عنه كلمة البهتان ، ولا يمد إليه يد المواساة حين ينتاشه الأغبياء !

إلى أين تسير بلادي الغالية ؟ إلى أين ؟ إلى أين ؟

لم ينبغ في عصرنا مؤمن في مثل حماسة الغزالي ، ولا صوفي في مثل روحانية ابن الفارض ، ولا مرتاب في مثل عقل أبي العلاء ، ولا فاجر في مثل ظرف أبي نواس ... فبأي وجه نلقى الله وقد خلا وادينا العزيز من أمثال هذه المعاني ؟ !

أتقدم إلى الله حطب جهنم وهم المذبذبون بين القديم والحديث ؟ !

وكيف نجيب إذا هتف هاتف يوم القيامة بأن المصريين في بعض عهودهم لم يراعوا حقوق واديهم الجميل ؟

قد يقال : إن عندنا رجالاً يثورون على ركود المجتمع من وقت إلى وقت ؛ وهذا حق ، ولكن ثورتهم في أغلب أحوالها من الحديث المعاد ، فهي في ضعف المبتذلات ؛ فالنائب الذي صاح مرة بأن المصريين مختلفون في الأزياء لم يأت بجديد ، فقد

سمع الناس هذه الصيحة قبل أعوام تُعدّ بالعشرات . وهذا النائب نفسه لا يستطيع أن ينكر أن اختلاف الأزياء لم يعوّق « السلف الصالح » عن النهوض ؛ فما سمعنا أبداً أن الأزياء توحدت في أمة إسلامية في العصور التي يلقبونها بالعصور الذهبية ، حتى يصح القول بأن اختلاف الأزياء هو السبب في تخلف الأمة المصرية ، والأستاذ الذي أتعب نفسه في الكلام عن انحلال الأغاني الشعبية لم يأت بجديد ، فقد قيل هذا الكلام ألوف المرات ، ولم يكن توكيده في احتياج إلى صيحة من عميد إحدى الكليات ! !

وأرجع فأقول إني أكره أن يعيش الجيل الجديد بلا بصيرة ولا يقين ، لأن هذا الضرب من العيش ليس إلا ضرباً من الموت ، وإليكم أسوق بعض الشواهد :

كثر القول في الدعوة إلى إصلاح الأزهر والمعاهد الدينية ، وقد شغلت نفسي بهذا الموضوع حيناً من الزمان ؛ ثم انصرفت عنه كل الانصراف ، حين شعرت بضعف الأساس الذي رجوت أن يقام عليه البناء

ولتوضيح هذا المعنى أقول : إني رأيت الأزهريين لا يثقون بمعهدهم إلا ثقة صورية ، ولو شئت لصرحت بأنهم يثورون عليه ثورة لا يسترها غير الكبت ، بدليل أنهم لا يلتفتون إليه حين يجدون فرصة للتحرر والانطلاق

كانت مشيخة الأزهر إلى الشيخ سليم البشري ، ومع ذلك ربّى جمهور أبنائه تربية مدنية لا دينية . ثم كانت إلى الشيخ أبي الفضل الجيزاوي ، ومع ذلك ربى أبناءه تربية مدنية لا دينية. ثم كانت إلى أستاذنا الشيخ الأحمدي الظواهري ، وقد ربى جميع أبنائه تربية مدنية . وشيخ الأزهر اليوم هو أستاذنا المراغي ؛ وقد ربى جميع أبنائه تربية مدنية ، وابنه مرتضى وكيل محافظة القنال وليس شيخاً لمعهد طنطا أو دسوق ؛ فاذا ترون في مغزى هذا الشاهد الطريف ؟ ألا يدلكم على أن الأزهريين لا يثقون بمعهدهم إلا ثقة صورية ؟

إن كان الأزهر هو المثل الأعلى في إعداد الشبان للحياة الدينية والدنيوية فكيف يفوت شيوخه الأجلاء أن يصونوا أبناءهم بالالتجاء إلى حصنه الحصين ؟

وإن لم يكن صالحاً لتربية هؤلاء الأبناء فكيف يفوت أولئك الآباء أن يصارحوا الأمة برأيهم فيه وهم هداتها إلى الدنيا والدين ؟

كان يتفق لبعض كبار العلماء أن يوزعوا أبناءهم بين المعاهد الدينية والمدارس المدنية ، كما صنع الشيخ محمد شاكر والشيخ عبد المجيد اللبان ؛ ولكن هذه الظاهرة قد انقرضت ولم يبق من الأزهريين من يربي أبناءه تربية دينية وهو يجد الوسيلة إلى تربيتهم على الطريقة المدنية . . . أليس لهذا المسلك من المعاني ما يوجب التفات من يسجلون التطورات الاجتماعية ؟ أليس هذا بشيراً أو نذيراً بأن الأزهر يريد أن يتحول ؟

وما يقال في الأزهريين يقال في كثير من الطبقات : فالمدرسون في جملتهم لا يرضون أن يصير أبناؤهم إلى احتراف التدريس ، كأنهم يتوهمون أنه مهنة لا تمنح صاحبها أهلية الغنى والمجد . فكيف يؤدي المدرس واجبه تأدية حسنة وهو ينظر إلى مهنته بعين الاستخفاف ؟

والموظفون الذين ينشرون الثقافة الزراعية عن طريق المقالات والمحاضرات لا يرضون لأبنائهم أن يكونوا فلاحين ، مع أن الفلاحة هي أساس الثروة المصرية

يجب أن تؤمن كل طبقة بأنها شريكٌ أمين في الهيئة الاجتماعية . ويجب أن نحترم جميع أعمالنا احتراماً يصل إلى الحب لنتذوق طعم القيام بالواجب في صدق وإيمان ، ولنستردّ ما أضعناه من المنافع بسبب الفهم الخاطئ لاختلاف الطبقات ، وهو اختلاف لا يتم بدونه وجودٌ صحيح

أما بعد ، فهذا مقال لم أرد به غير وجه الحق . وأنا أدعو جميع الكتّاب إلى الاهتمام بأمثال هذه الشؤون في صراحة لا يصدها تهيب ولا احتراس ، وليثقوا بأن الشعب المصري يقبل جميع الآراء ما صدرتْ عن نزاهة وإخلاص

الشعب المصري لم يخذل داعياً من دعاة الحق ، ولم يصمّ أذنيه مرة واحدة عن كلمة الصدق ، فقد استجاب لجميع المصلحين ، وحفظ لهم منازلهم في التاريخ ، فما تهيُّبُ بعض الكتاب من عرض ما يجيش في صدورهم من الآراء الصحاح ؟

أقدموا غير هيّابين . فما فاز غير المزوّدين بفضيلة الشجاعة ونعمة الإيمان .

زكي مبارك

شاعر الجرمان الأعظم

يحيى ولفغنغ غوث
JOHANN WOLFGANG GŒTHE

لأستاذ جليل

طلع (يحيى ولفغنغ غوث) ناظم معانى (إنْ بالشعب ...) باللسان الجرمانى على الدنيا سنة ١٧٤٩ وغاب سنة ١٨٣٢

وشعر ونثر — وقد هذب الدهر لغة القوم — فخير وبهر .

وقد روى الراوون محققين وصادقين أنه قَرزمَ[1] وهو ابن ست سنين ! « يا يحيى ، خذ الكتابَ بقوة ، وآتيناه الحكم[2] صبيًّا »

وهو ثانى اثنين فى الأقاليم الغربية لا ثالث معهما ، ولن يكون الثالث ... وإن سبق صاحب (هملت) فى القريض بجملة أقواله فقد بذّ غوثُ شكسبير بفوست . ليست لشكسبير شبيهة فوست

وغوث هـذا هو ذو المنقبتين أعنى العبقريتين : العبقرية الشعرية ، والعبقرية العلمية . وهما عبقريتان لا تلتقيان عند إنسان . فأعظمْ بدماغ لف هاتين القوتين ، وألّف بين الضّرتين ![3] أعظم به ثم أعظم !!

ولقد ظاهرت مؤلفات هـذا العبقرى مقالات الوحديين والنشوئيين[4] وأشياعهم كما ظاهرهم قريضه ـ أيما مظاهرة . وقال فى (التحول)[5] فى مباحثه ذات القدر فى النبات[6] والحيوان مستقريا مدققاً، ومفصلاً موضحاً ، وهاديا أولى النهى إلى تلك القرابات الواشجات قبل أن يقول ابن لامرك ، وقبل أن

(١) القرزمة : الابتداء بقول الشعر . (الأمالى ، التاج)

(٢) الحكم : الحكمة . وفى حديث إن من الشعر لحكما أى حكمة ويروى : حكمة

(٣) الضرتان : امرأتان الرجل ، سميتا ضرتين لأن كل واحدة تضار صاحبتها (اللسان) والضرائر الأمور المختلفة كضرائر النساء لا يتفقن (النهاية) بينهم داء الضرائر : الحسد (الأساس)

(٤) Évolutionnistes, Manistes

(٥) Tranformisme

(٦) فى كتابه المشهور Métamorphose des plantes سنة ١٧٤٠

نسمع ابن درون . ويدُ هذين العلَمين العلامتين فى تينك المقالتين[1] المشهورتين بما بسطا فى شرحهما ذا البسط وبتلك الإحاطة ـ مذكورة مشكورة لا تكفر . وللسلف الصالح كلمات في هـذه المعانى مختصرة متفرقة فى المصنفات مبثوثة فى المواضع المختلفة ، وفى بعضها ما يلاق تصريح بخنر وهيكل وهكسلى . وفى (الرسالة) ذات الرقم ٢٥٥ ص ٨٤٨ جملة ابن خلدون المجملة فى تدريج التكوين . إنها سنة الله فى إنشاء الكائنات « ولن تجد لسنة الله تبديلا »

والأستاذ (أرنست هيكل) يذكر فى أكثر كتبه أعظم شعراء الجرمان ومفكريهم — كما يصفه — مفخما ومتقويا بأقواله فى مقالته (الوَحدية[2]) ومباحثه المحكمة المحققة النشوئية . وقد أورد فى كتابه (تأريخ الخلق الطبيعى[3]) فى الباب الرابع نصوصاً أو شذرات من مؤلفات (غوث) تعلن سبقه رجال (المذهب) فى الاهتداء إلى ما هداه الله إليه

وكان نابغة الجرمان ، سيد الجرمان يجل قائدنا وهادينا (أبا القاسم) إجلالاً كبيراً . ولن تنسّى حسناتٍ لغوث تخاليطُ فى (رواية) . وقصيدته فى يوم النصر ، يوم الفصل ، يوم (بدر) وشهدائه المؤمنين الخالدين الأبطال — شمس تضىء ، شمس مضيئة أو سورة . وإن قوله فى (القرآن) لهو القول . إنه يراه قد أعطِى فيه كل مقام حقه ، وأخذ كل معنى من مقاصده لفظه كما يراه قويا (إشْشْتِرْنكْ[4]) عظيما ساميا متعاليا (إرْهابِنْ[5]) رائما مهيباً (فُورْشْتْبارْ[6]) قد خرق العادة ؛ فلا غرو أن يبلغ أثره فى العالم حيث بلغ

يا كتاب محمد ، يا كتاب عظيم الدنيا ، يا أعظم كتاب فى هذا الكون ، يا خالق هذى الأمة ، يا بانى ذاك المجد ، هل يعرفك حق معرفتك إلا العبقريون ، إلا الأقطاب الأغوات (النوئيون) ؟ !

(١) Théorie de la descendance سنة ١٨٠٩ Théorie de la sélection سنة ١٨٥٩

(٢) Manisme

(٣) Histoire de la création naturelle

(٤) و (٥) و (٦) ألفاظ جرمانية من وصف (غوث) (الكتاب المعجز الكريم .

هل يعرفك الجهلاء الأغبياء البله العمهون ؟

هل يعرفك العوام أو أشباه العوام من الأدّبيين والممعيين[1] ؟

هل يعرفك الشمارير أو المتشاعرون والكوتيبون الصغيرون الحقيّرون الأمّعون[2] ؟

هل يعرفك كل وغد نغل (مزور) مائن من المضللين الوقحين ؟

ألا إن القرآن فى الكلام مثل محمد فى الأنام ، فإن وجدت لمحمد خطيراً[3] ألفيت للقرآن نظيراً « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً »

وكان الأستاذ الأكبر (أرنست هيكل) يجهر كذلك بتبجيل (أكبر معانى الكون وصفوة النوع الإنسانى) ، وبتفضيل شرعته — والإسلام يعلو ولا يُعلى — على تينك النحلتين . وذكره معظماً فى كتابه (أحاجى الكون)[4] أو معضلات الكون — وفى غيره من كتبه — وأظهر فى ذلك الكتاب الهادى أثر زيارته مساجد فى نفسه حينما جاء الشرق (سنة ١٨٧٣) مادحاً هدوءاً وخشوعاً وسكينة فيها ، وهاجياً ضجيجاً وعجيجاً وشعبذة فى معابد أقوام وملة سماهم وسماها ، ولا أرى أنا أن أسميهم أو أسميها فى هذا المقام حتى لا يغضب أصحاب لنا وأحباب

وغوث مطوق بفضل علمه وأدبه أجياد جميع الجرمانيين ، ولم يتفلت من قيد إحسانه متفلت منهم . فكل جرمانى ـ كما يقول أحد الجرامنة ـ إما أن يكون قد درس مؤلفات غوث فاستفاد منها، أو استفاد ممن درس مؤلفات غوث . ففضلُ (ذى المنقبتين) قد عم القوم قاطبة ـ عموماً

وإن شئت فقل : إن أمة غوث تتلو صحفه كما يتلو أهل الحنيفية (الكتاب) وكما يقرأ القراءون[1] من اليهود والنصارى التوراة والإنجيل

وكتبه عند الجرمانيين ثروة كريمة جسيمة ، وقد أربت على أكثر من مئتى مؤلف

وغوث هو شائد الوحدة الجرمانية الحق؛ فلغته وأدبه هما اللذان جمعا كلمة أولئك الأقوام المتفرقة ، وألفا بين قلوبهم المتوزعة . ولو أقامت (سياسة بسمرك) ألف سنة تجد فى الضم والتأليف ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن غوثا ألف بينهم . إن سلطان الأدب والأديب واللغة فى الأمم لقوى عظيم

وصيت هذا العبقرى ومكانته فى غير أمته من الغربيين مثلهما فى أمته . وخلقه العالى وفضائله أعظم من شعره العجيب وعلمه . قال له كبير ذات يوم : ياغوث ، لقد أفاد الناس سلوكك ، وسيرتك أكثر مما استفادوا من علمك وأدبك . وأدبه وعلمه هما ما علمت

وإن بلاغة غوث وبراعة شكسبير لتعجزان عن أن تبينا فضائل تلك السيرة مزاياها وعجائبها ، فالجأ إلى التوهم واسجن فى عالمه

وقال نابليون بونابرت وهو يومئ بيده إلى القطب الغوث (غيث) : هذا رجل[2] !

ولو أنصف هذا الملك لقال : هذا ملك[3]

إنما غوث ملك : ما هذا بشراً ، إنْ هذا إلا مَلكٌ كريم !

وإن غوثاً وأمثال غوث من العبقريين العظيميين الكرام الكاتبين الكاملين ، لمستغنون جد مستغنين عن شهادات المجدين وإطراء المطرين من النابوليين وأشباه النابوليين

إنه الشمس تبدت ضحوة ، نورها الباهر خير الشاهدين ...

(＊＊＊)

(١) فلان معمعي : لا رأى له يقول لكل أحد أنا معك

(٢) الأمع والأمعة هو الرجل لا رأى له ولا عزم ، يتابع كل أحد على رأيه ، ولا يثبت على شيء ، والهاء فيه للمبالغة ، ولا نظير له إلا رجل أمر وهو الأحمق . وكذلك الأمرة وهو الذى يوافق كل انسان على مايريده ، وتأمع الرجل واستأمع ، ورجال أمعون ، ولا يجمع بالألف والتاء (التاج)

(٣) فلان ليس له خطير أي ليس له نظير . وهذا خطير لهذا أى مثل له في القدر ، ولا يقال للدون إلا للشيء السرى (اللسان)

(٤) Les énigmes de l'univers

(١) القراء ـ كرمان ـ الناسك المتعبد ج قراءون ، وتقرأ إذا تفقه وتنسك (التاج)

(٢) هذا رجل : أى كامل فى الرجال (الأساس)

(٣) قال الحكيم أبو العلاء :

ثلاث مراتب : ملك رفيع ... وإنسان وجيل غير أنس

فان فعل امرؤ خيرا تعالى ... إلى قنس الملائك خير قنس

وإن خفضته همته تهاوى ... إلى جنس البهائم شر جنس

فى الأساس : فلان واحد من جنسك ، وشعبة من قنسك : أصلك القنس بفتح أوله وكسره

شخصيات تاريخية

٢ – تيموستوكل

للأستاذ محمد الشحات أيوب
مدرس التاريخ القديم بكلية الآداب

كان اليونان إذن مهددين فى عام ٤٨٠ ق . م إذ علموا أن أجرزسيس سير جيشه الجرار من قلب آسيا الصغرى وأسطوله الضخم محاذياً السواحل الآسيوية والأوربية المحيطة بمضيق الهيليسبونت لغزو بلاد اليونان ، طامعاً فى أن يقوم بما لم يستطع أن يقوم به أبوه من قبل وهو الانتقام من أثينا بل وإخضاع بلاد اليونان عامة ، فما كان عقله يصدق أن بلاداً صغيرة كبلاد اليونان تجرؤ على أن تقف فى وجه أعظم عاهل على وجه البسيطة حينذاك وهى على ما هى عليه من فرقة وانقسام وتباين واختلاف

وقد اختلف المؤرخون القدماء والمحدثون فى تقدير عدد الجيوش الفارسية واليونانية ، ولكنهم إن اختلفوا فى هذا التقدير نجدهم يجمعون على أن جيش أجرزسيس كان عظيم العدد جداً ، وعلى أن جيش اليونان كان دونه بكثير

جاء الفرس بهذه الجيوش الضخمة ووصلوا إلى شمال بلاد اليونان بعد أن عبروا ما عبروا من بحار ، وجابوا ما جابوا من سهول ووديان، وتسلقوا ما تسلقوا من تلال وجبال ، وهم واثقون كل الثقة أنهم لا بد غالبون هـذا الشعب بل هذه الشعوب الإغريقية المختلفة على أمرها مقاصرين على انقسام اليونان وضعف اليونان وفقر اليونان ، وقد غاب عنهم أن اليونان كانوا يعرفون بلادهم تمام المعرفة ويثقون بقوادهم الذين سيقودونهم إلى النصر لأنهم يدافعون عن أعز شيء فى الحياة وهو الحرية والاستقلال

وكان تيموستوكل على علم بحركات الفرس كلها . لذلك أعد بلاده خير إعداد ، وجهزها بما كانت تحتاج إليه من وسائل الدفاع كبناء الأسوار والجدران ، ومن وسائل الهجوم كالسفن التى عمل على بنايتها لتكوين الأسطول مما جعله يصمد أمام الأعداء ولا يتزعزع أمام هذه النزوة الجريئة

ويعمل اليونان على توحيد الصفوف والاستعداد لملاقاة الأعداء فيعقدون مؤتمراً هو مؤتمر الجامعة اليونانية الثانى (فى أوائل ربيع عام ٤٨٠ ق . م) وفيه يقررون إرسال حملة للدفاع عن وادى تمبى فى الشمال بعد أن وعدهم سكان تلك الجهة ببذل المونة والمساعدة لهم ، وسارت الحملة عن طريق البحر وعلى رأسها قائد أسبرطى يساعده فى القيادة آخر أثينى هو صاحبنا تيموستوكل ، ووصلت هذه الحملة إلى تلك الجهة ولـكنها لم تجد معونة ولا مساعدة فرجعت بخفى حنين

ويتفق اليونان أيضاً فى هذا المؤتمر على تنظيم خطوط دفاعهم فيجعلونها أربعاً . الأول عند وادى تمبى السابق الذكر ، والثانى عند الترموبيل ، والثالث عند وسط اليونان (بيوسيا وأتيكا) والرابع عند برزخ كورنث ويقررون التراجع عن الخط الأول إلى الخط الثانى وعن الخط الثانى إلى الخط الثالث وهكذا حتى الخط الرابع إذا لم يستطيعوا الاحتفاظ بأى خط من هذه الخطوط

وهم لم يستطيعوا الاحتفاظ بخط دفاعهم الأول على نحو ما رأينا منذ حين ، لذلك نراهم يقررون ، عند ما علموا بخبر زحف الفرس إلى أواسط بلاد اليونان ، الوقوف عند خط الدفاع الثانى أى عند أراض الترموبيل براً ، وعند رأس « الأرتيميزيون » بحراً ، والنقطتان تكمل كل منهما الأخرى ؛ ويوجهون نحو الأولى حملة برية بقيادة الملك الإسبرطى الشهير ليونيداس ، ونحو الثانية أسطولاً بقيادة رجل اسبرطى هو إريبياد ويساعده فى القيادة تيموستوكل . وقد تلاقى الجيشان جيش الفرس وجيش اليونان عند الترموبيل ، وكان ما كان من أمر هذه الهزيمة الساحقة التى مُنى بها ليونيداس وأتباعه ، حيث أبيد اليونان كلهم عن بكرة أبيهم فى هذا المكان الضيق بعد أن أظهروا من الشجاعة ما خلد اسمهم على صفحات التاريخ — أما عند النقطة الثانية فقـد التحم الأسطولان ، والأسطول اليونانى كامل العدد والعدة ، أما الأسطول الفارسى فقد هبت عليه زوبعة قبـل معركة « الأرتيميزيون » ودمرت ما يقرب من ثلثه تقريباً ، لذلك لقى الأسطول اليونانى نجاحاً بادئ الأمر ، ولـكنه لم يستطع أن يصمد أمام حركة تطويق قام بها جزء من الأسطول الفارسى نحو الجنوب إذ أراد الالتفاف حول جزيرة أوبيا ليأخذ الأسطول اليونانى على غرة من الخلف ، ولحسن حظ هذا الأسطول نجده يتمكن من الإفلات والنجاة من هذا المأزق

الخرج فيرجع عند خط الدفاع الثالث أى عند وسط بلاد اليونان ، وقد دهش الفرس عند ما رأوا الأسطول اليونانى يتراجع بعد هذا النجاح النسبى الذى ناله ، ولكن اليونان فهموا أن هزيمة جيشهم فى الترموبيل قد قضت على خطتهم الدفاعية وجعلتهم يخافون على قواتهم من الفناء ، من أجل هذا تراجعوا نحو الجنوب لأن هذه هى الفرصة الوحيدة لإنقاذ جيشهم وللاحتفاظ به للمستقبل .

من هذا يتبين أنه لم يكن لثيموستوكل موقف ظاهر واضح فى هذه المعارك وعلى الأخص فى الحملة البرية الأولى عند أرض تمبى ، وفى الحملة البحرية الأولى عند رأس الأرتيميزيون ، ولكنه بالرغم من ذلك موقف عظيم الخطر والأهمية ، لأنه كان هو الروح الذى يبعث فى الجيش الحمية والحماس ، وفى الأسطول الرغبة والإقدام على الهجوم ، إذ كان يقف إلى جانب القائد الإسبرطى موقف المرشد الناصح الأمين الذى يجعل مصلحة بلاده فوق أى اعتبار . وكان هذا القائد الإسبرطى يوافق على آرائه بالرغم مما فيها من خطورة وجرأة ؛ لأنه كان ينصح دائماً بالهجوم سائراً على هذا المبدأ الذى أخذ به نابليون من بعده وهو « الهجوم خير وسيلة للدفاع » ؛ وكان إلمامه التام بحالة الفرس وبحالة اليونان خير مشجع له للاقدام على الهجوم ؛ فهو يعلم أن اليونان أقلية فى العدد بالنسبة للفرس — ولكنهم أكثرية فى نواح أخرى — إذ كانوا أكثر تجانساً من أعدائهم ، (فلم يكن بينهم نفر من الأجانب ، على حين أن جيش الفرس يتكون فى أغلبيته من أفراد الشعوب المديدة الخاضعة لهم) وأكثر اتفاقاً فيما بينهم ، فهم يحاربون بطوعهم واختيارهم لأن مثلهم الأعلى هو المحافظة على استقلال بلادهم وإحاطة حريتهم وحرية بيوتهم وعائلاتهم وأراضيهم بسياج من المنعة والقوة . أما الفرس أعداؤهم فإنهم يسيرون بالسياط ويحاربون مجبرين ، لا لتحقيق مثل أعلى وإنما تنفيذاً لرغبة عاهل جبار استحوذ الطغيان منه على فؤاده واستولى الكبر على قلبه وعقله حتى شبه نفسه بالآلهة ، فساق هذه الجموع الزاخرة سوق الأنعام والماشية . ثم إن اليونان بعد هذا وذاك يفوقون أعداءهم فى الأسلحة التى كانوا مجهزين بها وفى القيادة التى كانوا يخضعون لها . وإلى جانب ذلك كله كان تيموستوكل على علم تام بحركات الأعداء ، يوقفه عليها هؤلاء الجواسيس ونقلة الأخبار الذين كان يبثهم بين أعدائه مثل هذا الملاح الماهر سكيلياس الذى أتى له بمعلومات عن الأعداء قبل موقعة الأرتيميزيون ؛ فأوقفه على ضعف الروح المعنوية فيهم ، وعلى انعدام المثل الأعلى بينهم ، وعلى عدم الانسجام بين وحداتهم المختلفة ، وعلى التنافر بين عساكر الجيش والأسطول الذين هم من عناصر جنسية مختلفة ، وكذلك على الكوارث التى أصابت الأسطول الفارسى كهذه الزوبعة التى هبت عليه قبل الأرتيميزيون فدمرت أربعمائة سفينة

* * *

ثم يتابع أجرزسيس سيره نحو الجنوب حتى يصل إلى أواسط بلاد اليونان ، وهو لا يحجم عن تخريب ما يلاقيه فى طريقه من قرى ومدن ، ولا يتردد عن انتهاك حرمة المعابد والأراضى المقدسة ، ولا يتأخر عن تدمير ما يقابله من محاصيل زراعية أو تماثيل للآلهة ، حتى ألقى الذعر فى قلوب بعض اليونان ، فخضعت له البلاد اليونانية الوسطى والشمالية ماعدا مقاطعة أتيكا . وكان من الأشياء المقررة عند اليونان أن يقف الجيش اليونانى عند الجبال التى تفصل بين مقاطعتى أتيكا وبيوسيا للدفاع عن المقاطعة الأولى ، ولكن هذا الجيش تراجع حتى برزخ كورنث ووقف هناك ينتظر ما سيجابهه من حوادث . أما الأسطول فكان هو الآخر مصوباً وجهته نحو الجنوب ، وقائده الاسبرطى يريد به التراجع نحو شبه جزيرة البيلوبونيز للدفاع عنها ، ونحن لا ننسى أن هذا القائد ، وهو إوريباد ، اسبرطى يضع مصلحة بلاده فوق كل اعتبار ؛ ولكن تيموستوكل يتمكن بعبقريته وبشخصيته القوية من أن يقف فى وجه هذا القائد حتى يتغلب عليه ويوجه الأسطول كما يريد هو لا كما يريد هذا القائد فينجح فى تلك اللحظة الرهيبة فى حمل اليونان على اتخاذ قرار خطير ، ذلك هو القرار القاضى بأن يقف الأسطول اليونانى عند جزيرة سلامين ، من أجل هذا رأى اليونان أنهم مجبرون بعد هذا القرار الجديد على أن يرسموا خطة جديدة تضمن التعاون بين الجيش والأسطول للدفاع عن بلادهم وصد الغزاة

في سبيل العروبة

مصر والعـــــالم العربي

للأستاذ عمر الدسوقي

لا شك أن الحرب التي تدور رحاها اليوم ستتمخض عن انقلابات تاريخية وإقليمية ذات بال . ونحن — وإن لم نخض غمارها — متأثرون بنتائجها ؛ وكل أمة تيقظ فيها الشعور القوى ترى لزاماً عليها أن تفكر في مصيرها ، وتحدد هدفها ؛ حتى تسير قُدُماً نحو غايتها حين تضع الحرب أوزارها .

ومصر قد سلكت حتى اليوم مسلكا رشيداً ، واتبعت سياسة ناجحة حكيمة إزاء هذه المحنة العالمية ، وكانت وفية صادقة لحليفتها ، برة بوعودها ، ولكنها لم تستغل هذا الموقف الشريف لخيرها وخير شقيقاتها العربية ، التي تنظر إليها بعين ملؤها الرجاء والأمل . وعندى أن القضية العربية هي من أهم المسائل الحيوية التي يجب أن تدرسها مصر دراسة جيدة ، وتوجه إليها عنايتها ، وتبذل في سبيلها الجهود الصادقة .

أجل ! إن مصر تتمتع في العالم العربي بمنزلة رفيعة ، فقد حباها الله موقعاً جغرافياً هيأ لها التجارة النامية والثروة الطيبة ، وجعلها صلة بين الشرق والغرب ، وسخر لها النيل يفيض على واديها بالخصب والنماء ، ويغدق عليها النعمة والاثراء ، فتصورها الناس في كل واد أرض الكنوز المطمورة ، والخيرات المتدفقة ؛ ثم إنها أكثر البلاد العربية سكاناً ، وقد سبقت شقيقاتها في حمل مشعل النهضة على يد عاهلها الكبير محمد على باشا وخلفائه ، وخطت خطوات واسعة في سلم الحضارة والعلم ، فأصبحت ذات سلطان قوى على الرأى العام في البلاد العربية بما تملك من صحافة غنية منظمة ، ومجلات أدبية وعلمية تمد الغذاء الروحي لعدد كبير من أبناء العروبة يفتقدونها إذا تأخرت ، ويكبون عليها بشغف ونهم إذا أقبلت ؛ وبأزهرها العتيد وجامعتها الحديثة ؛ وبمطبعتها الخصبة التي ما فتئت تحيى القديم وتظهر الجديد من المؤلفات القيمة والكتب الثمينة ؛ وبكتابها الذين يزيدون في ثروة التراث العربي ، ويتمتعون بشهرة واسعة في كل مكان تسود فيه لغة الضاد لغزارة أفكارهم وجودة أساليبهم ، وتنوع كتاباتهم ؛ وبالغناء المصرى الذى يتردد على كل لسان في ربوع العروبة ويهتز له الشيخ الكبير والحدث الصغير على الرغم مما به من نقص ، ولكن حسبهم أنه غناء مصرى حتى يفتنهم .

كل هذا جعل من مصر قبلة الأمم العربية ، ومثالاً تنسج على منواله وترسم خطاه ، وتتنسم أخباره بلهفة وشوق ، حتى صار أبناؤها يختلفون فيما بينهم تبعاً لاختلاف الأحزاب المصرية ، ويعرفون عن وادى النيل كل صغيرة وكبيرة

فاذا كان موقف مصر من هذه البلاد التي تحبها حباً صادقاً لم يُشتر بالمال ولم يُبتذل في سبيله دعاية ؟

لقد تقاعست مصر عن القضية العربية في الماضي — وهذه كلمة صريحة يجهر بها مصرى مخلص لبلاده — ولم تعمل على جذب هذه القلوب التي تهفو لها حباً وإخلاصاً !

زحف أجرزسيس بجيوشه وزحف حتى وصل إلى أبواب أثينا ، وكذلك كان الأسطول الفارسي متقدماً في سيره نحو الجنوب حتى لا يبتعد كثيراً عن الجيش ، وخطة الفرس على ما نعلم تقضى بأن يتعاون الأسطول مع الجيش ؛ من أجل هذا لم يجد الأثينيون أمامهم — والعدو على أبواب وطنهم — إلا أن يهجروا مدينتهم ، فأصدر الشعب الأثيني مجتمعاً في مجلس «الأكليزيا» مرسوماً يأمر بإخلاء المدينة على ألا يبقى بها إلا نفر من الشيوخ للدفاع عنها . أما الفقراء من أفراد الشعب الذين لا يستطيعون أن يتحملوا نفقات الهجرة فقد نص هذا المرسوم بإعطاء كل شخص منهم مبلغاً من المال ليساعده على الرحيل ؛ وذهبت أغلبية الأثينيين بأبنائهم ونسائهم الى جزيرة سلامين حتى يروا ماسيقضى الله من أمر . أما الفرس فقد دخلوا المدينة ووجدوها قد خلت من سكانها إلا هذا النفر الضئيل من الشيوخ . وهذا النفر بالطبع لم يستطع أن يثبت في وجههم فتغلبوا عليهم ، وصعدوا إلى قمة الأكروبول وأقاموا هناك حيث توجد معابد الآلهة

(البقية في العدد القادم) محمد الشحات أيوب

إي وربي ! تقاعست مصر حتى كاد يفلت من يدها الزمام ، وحتى قام من يناهضها ويعمل على تقويض سلطانها المتمكن في الأفئدة ، بالدعاية الباطلة والإفك الصريح ، مؤولاً تقاعس مصر بالكبرياء ، وإعراضها بالغطرسة ، ومصر — يشهد الله — مما يقولون براء

أجل ! لقد شغلت القضية المصرية والكفاح في سبيل الاستقلال كل أفكار وادي النيل ، ولكن لم تمنعهم هذه القضية عن الانتصار للحبشة مثلاً بالمال والنفوس والدعاية ، مع أن قطراً عربياً آخر كان ينكأ كل يوم بجراحات مثخنة عميقة ، ويجاهد جهاد المستبسل الثوار في سبيل حياته ، ومصر تنظر وكأن الأمر لا يعنيها ، حتى قيض الله لها رجلاً لا يوجد في الألوف مثله ذكاء وعبقرية وإقداماً ، قدم لهذا القطر العربي المساعدة المالية السخية التي تكفكف دموع اليتامى والأيامى ، ودفع بمصر في سبيل العروبة حاملاً بنفسه علم الدفاع ، ولكن أبت الأقدار إلا أن تناوئه فانزوى عن الميدان

كان لعمله هذا أثر محمود عند كل عربي ، وأخذت الأعناق تشرئب إلى مصر تنظر ماذا تفعل ، ولكن مصر رجعت إلى سابق عهدها من الصمت والتغافل ثم أشعلت نار الحرب وشغل كل امرىء بنفسه ، إلى أن أصبحت حليفة مصر — بريطانيا العظمى — مسيطرة على الموقف في الشرق الأدنى ، وصرح رئيس وزرائها مستر تشرشل — مثال الصبر والجلد والبطولة في الكفاح — بعطفه على القضية العربية ، فهل آن لمصر أن تعطف على القضية العربية وهي أولى الناس بهذا الأمر ؟

إن مصر عربية قلباً ودماً ولحمة وسدى ! وكل من يقول غير هذا فهو مأفون الرأي . سائلوا التاريخ عمن حفظ اللغة العربية وهي تحتضر في كل مكان إلا في مصر ! سائلوا التاريخ عن تلك الهجرات المتتابعة من ربوع العروبة إلى مصر منذ الفتح إلى اليوم !

إن بين مصر وبين البلاد العربية وشائج من الدم واللغة والتاريخ والأدب والعاطفة تحتم عليها أن تتبنى القضية العربية

وهنا أوجه كلمة صريحة إلى جماعة من الكتاب في مصر أخذوا يتجادلون حول القضية العربية والقضية الإسلامية . مصر عربية إسلامية وعروبتها تحتم عليها أن تهتم بالقضية العربية وتتألم لنكبات الأمم العربية ، وتفرض عليها الاشتراك في الحلف العربي ، وإسلامها من جهة ثانية يتطلب منها أن تنظر بعين العطف إلى القضايا الإسلامية في جميع أنحاء المعمورة ، ولا اختلاف بين الجهتين ، ولا تناقض بين الميدانين : القضية العربية قومية ، والقضية الإسلامية دينية ، وفي استطاعة الانسان العاقل أن يكون وطنياً مخلصاً لوطنه مجاهداً في سبيله ، وأن يكون متديناً ورعاً قائماً بواجبات دينه ، دون أن يكون هناك تناقض بين جهتي الإخلاص أو بلبلة في أفكاره

وهنا أيضاً عتاب أوجهه إلى كتاب مصر عامة ، وإلى العلامة الدكتور زكي بصفة خاصة بأنهم جميعاً يستعملون كلمة « شرقي » بدلاً من « عربي » ، والبلاد الشرقية الشقيقة بدلاً من البلاد العربية الشقيقة ، فكأن الصلة التي تربطهم بأبناء العروبة هي أنهم جميعاً شرقيون فحسب . هذه نقطة دقيقة طالما أثارها محبو مصر في البلاد العربية ، وطالما خجلنا منها ونحن بين ظهرانيهم . فهل الدكتور زكي مبارك مستعد منذ الآن أن يستعمل كلمة عربي بدلاً من شرقي وعربية بدلاً من شرقية ، فإنه ملوم بخاصة لخبرته بالبلاد العربية وتمتعه فيها بشهرة طيبة

وهناك عتاباً آخر لا أوجهه في هذه المرة إلى الدكتور زكي مبارك ، فقد أدى ما عليه وزيادة ، ولكن أوجهه إلى كتاب مصر وإلى جمهرة القراء بها : يلوموننا في البلاد العربية لعزلتنا الأدبية ، واعتزازنا بثقافتنا ، وعدم إقبالنا على ما تنتجه المطابع العربية ، وينشئه أو ينظمه حملة الأقلام بها . وهذا عتاب لعمر الحق في محله ، ولقد كانت خطوة موفقة وسهماً محموداً ما قررته وزارة المعارف المصرية من دراسة الأدب العربي الحديث في الأقطار العربية على بعض الأساتذة ، ولا عجب ، فالدكتور هيكل باشا جد عليم بشعور أبناء العروبة في هذه الناحية ، وهو خبير بما عندهم من أدب رفيع وخيال خصب وإنتاج طيب

حول المسابقة إلى الثانوى

للأستاذ سيد قطب

قرأت فى عدد الرسالة الأخير ما كتبه الدكتور زكى مبارك خاصاً بمذكرة « الستة » المقدمة إلى وزارة المعارف لإعفاء « أشخاصهم » من التقدم إلى امتحان المسابقة . حسبما روى الدكتور والعهدة عليه فيما رواه

ولا أحب أن أتحدث عن امتياز هؤلاء الستة — فى صدد الحديث عن هذه المسابقة — فتلك مسألة تافهة لا يجوز لها أن تتدخل فى تقرير مبدأ من المبادئ العامة كمبدأ امتحان النقل إلى المدارس الثانوية

ولكنى أحب أن أتناولها تناولاً موضوعياً ، فأذكر أننى تقدمت فى العام الماضى بمذكرة لحضرات كبار المسؤولين فى الوزارة خاصة بموضوع اليوم ، لا أرى ضرراً من تلخيصها هنا والزيادة عليها بما جد لى من الرأى حولها ، ولا أجد حرجاً فى التصريح بأنها لقيت اقتناعاً بالأسس التى تضمنتها

لم أحاول أن أنكر مبدأ المسابقة فى ذاته ، فقد يكون أسلم المبادئ لتحقيق العدالة وإبراز المواهب ، والحد من المحسوبية والتحرر من ضغط الصلات الشخصية بين الرؤساء والمرءوسين سواء كانت طيبة أم رديئة

ولكنى أنكرت شكل المسابقة وقواعدها الحالية ونتائجها العملية ، ووجوه إنكارى لها هى هذه :

أولا : أن المسابقة تتجه اتجاهاً خاطئاً إلى اختبار محفوظات المدرسين وتحصيلهم العلمى ، دون أن تتجه إلى اختبار ثقافاتهم وعقلياتهم ونمو شخصياتهم من جميع نواحيها

ووجه الخطأ فى هذا الاتجاه أنه تثبيت وتوكيد « لعقلية الامتحانات » التى نشكو منها بالقياس إلى التلاميذ ، ونعمل على التحرر من قيودها ، بانتهاج طرق « المدارس الناهضة » وطرق التربية الحديثة التى اهتدى إليها المربون فى القرن الأخير فامتحان المسابقة فى شكله الحاضر نكسة للعقلية التعليمية تضمن للعقلية القديمة البقاء والاستمرار فترة أخرى أطول مما كان مقدراً لها بعد النهضة الحديثة

فكان هذا الشر يجد مبرراً لو أن الوزارة قبل وضع المسابقة هذا الوضع قد قامت بإحصائية من تقريرات حضرات المفتشين المختصين عن خمس سنوات أو عشر أو بأية وسيلة أخرى ، فتبين لها أن أغلبية المدرسين أو عدد كبير منهم ضعفاء فى المادة العلمية وحينئذ تتجه اتجاهاً معقولاً إلى تقوية التحصيل فى أوساط المدرسين

ولكنها لم تقم بهذا الإحصاء ، والظواهر جميعها لا تشير إلى ضعف الأساتذة فى مادتهم العلمية ، وإن كانت هناك فى بعض الحالات نواح من الضعف فى الثقافة العامة وفى مسايرة المجتمع والعالم فى خطواته وفى نمو الشخصيات المطرد فى أوساط المدرسين منشأها مراعاة الأقدمية وحدها فى النقل إلى المدارس الثانوية ، وتسرب المحسوبية إلى المدارس على حساب الكفايات العلمية كذلك ! !

ثانياً : أن المسابقة فى وضعها الحاضر لا تضمن النمو المطرد فى ثقافات الناجحين وشخصياتهم ، طالما أنها لم تعن بهذه الناحية أية عناية . وليس ما يمنع هؤلاء أن ينسوا هذه المعلومات التى حفظوها بعد نجاحهم ووصولهم إلى ما يبتغون من النقل إلى التعليم الثانوى ، كما يصنع التلاميذ الذين تحشو أدمغتهم حشواً بالمعلومات على طريقة المسابقة سواء بسواء !

ولو أن المسابقة وجهت همها إلى اختبار الثقافة والعقلية

قلت : إن الدكتور زكى مبارك قد أدى ما عليه فى هذا الميدان ، إذ كتب عدة مقالات فى (الرسالة الغراء) عن الأدب العراقى ، تعد مقدمة طيبة لدراسة عميقة مستوفاة . أما الأدب السورى — بما فى ذلك السورى واللبنانى — فسآخذ على نفسى عهداً بدراسته على صفحات (الرسالة) إن شاء الله حينما أفرغ من هذا النداء الذى يعبر عن عواطف أبناء العرب وشعورهم حيال مصر العزيزة

[للحديث بقية]

عمر الدسوقى
وكيل كلية المقاصد الاسلامية ببيروت

والتأكد من نمو الشخصية لضمنت استمرار صلاحية المدرسين فالشخصية النامية لا تتغير بل يزيدها الزمن نمواً وثقافة ، لأن حوافزها إلى المعرفة والاطلاع حوافز شخصية قد تذكيها المسابقة ولكنها أصيلة على كل حال

وأصحاب هذه الشخصية هم الذين نضمن بهم رقى الثقافة ونهوض التعليم فى المدارس الثانوية وسواها ، ونضمن ألا ينتكسوا بعد اجتيازهم حواجز السباق !

وقد كان يصح للستة الذين روى عنهم الدكتور زكى ، أن يستندوا إلى مثل هـذا الرأى فيمدوا اشتغالهم بالتأليف والتحقيق العلمى قبل المسابقة دليلاً على أصالة هذه الحوافز فى نفوسهم وضمانتها لصلاحيتهم ؛ لولا أنهم آثروا أن تستهويهم هالات موهومة حول شخصياتهم الكريمة !

ثالثاً : أن النتائج العملية للمسابقة — على فرض أنها ستؤدى إلى اختيار أصلح العناصر — تؤدى فى الوقت ذاته إلى نتيجة سيئة على التعليم الابتدائى الحكومى والتعليمين الابتدائى والثانوى فى المدارس الحرة

وتفصيل ذلك أنها تستنفد بالتدريج كل العناصر الصالحة فى المدارس الابتدائية الأميرية والثانوية الحرة — أولئك الذين ينجحون فى المسابقة — فتميزهم الوزارة فى مدارسها أو تنقلهم إلى التعليم الثانوى . ولا يبقى بعد هؤلاء وهؤلاء إلا العاجزون — فرضاً — عن النجاح ؛ فينحط مستوى التعليم الابتدائى عامة ومستوى التعليم فى المدارس الحرة التى تنهض بعبء كبير فى ميدان التعليم

هذا كله من ناحية ، ومن ناحية أخرى أن المدرس الذى يشغل وقته بتحصيل ما فى هذه الكتب المطولة الكثيرة العدد ، لا يستطيع أن ينهض بواجبه فى خلال العام المدرسى لتلاميذه وقد يرسب فيعاود الكرة فى عام آخر . والتلاميذ هم الذين يؤدون ثمن الاستذكار الدائم لمعلومات متفرقة لا تزيد تحصيلها شيئاً فى مقدرة المدرس الثقافية فى جميع الأحوال . ولا فى مقدرته العلمية فى كثير من الأحوال

***

هذه العيوب الأساسية فى نظام المسابقة الحاضر يمكن التفادى منها باتباع قواعد أخرى :

أولا : أن تتجه المسابقة إلى اختبار ثقافة المدرس ونموها الدائم واختبار عقليته فى الوقت ذاته . وهذا الاتجاه يقتضى أن يكون الأساس الأول للاختبار تقديم رسالة علمية أو أدبية فى علوم اللغة العربية وآدابها القديمة أو الحديثة ، يناقش صاحبها فتتبين مقدرته وتقاس ثقافته وعقليته . ولا ضرر — إذا لم يكن بد من قياس التحصيل — أن يتبع نظام « التمييز » الأزهرى القديم فى بعض المواد لمعرفة مقدرة المعلم على التحصيل والاطلاع فى مختلف المؤلفات .

ثانياً : أن يمنح الناجح فى هذه المسابقة درجة علمية تبرر الجهد المبذول فيها تقابلها درجة مادية تحفز الهمة وتقوى العزيمة . ويمكن الاستدلال من رسالته على الناحية التي يبرز فيها فتستغل خير مواهبه فى تدريس هذه الناحية ولا سيما فى الفرق الثانوية المتقدمة !.

ثالثاً : ألا تكون نتيجة النجاح الحتمية هى النقل إلى التعليم الثانوى . وأقول النقل لا كما تسميه وزارة المعارف ترقية ، فهذه الترقية لا وجود لها . بل توزع هذه الكفايات بعد منح أصحابها الدرجة العلمية والدرجة المادية على كل فروع التعليم . فتتوازن خطواته وتتعادل دعامته . وليس التعليم الثانوى بأجدر من التعليم الابتدائى بالعناية والكفايات العلمية

رابعاً : أن تنظم الوزارة فى العطلات الصيفية محاضرات عامة للمدرسين ، وتجعل لنسبة الحضور فيها وزناً فى المسابقة وفى نظرتها لهؤلاء الأساتذة . ونظام المناطق يسهل على الوزارة هذا الأمر ويقسم جماعات المدرسين على هذه المناطق وييسر إلقاء المحاضرات فى كل منطقة

وتلك مادة دائمة للثقافة المتجددة يجب أن ينال المدرسون نصيبهم منها وهم أجدر طوائف الأمة بها . وهى ضمانة أكيدة لاستمرار الثقافة وتجددها .

***

بقيت مسألتان على هامش ما كتب الدكتور زكى مبارك ، أمر بهما كارهاً فى هذا المجال أولاهما : تلك الطعنة التى وجهها الستة الكرام — إذا صح ما روى عنهم — إلى ألف ومئتين

من الزملاء ، اختصوا أنفسهم دونهم بما زعموه من امتياز ، ليس هذا مكان مناقشته وامتحانه

٢ — انزلاق الدكتور زكي مبارك — وهو يؤيد المسابقة — إلى غمزات لا تليق ، كقوله :

« وقد أجريت المسابقة بين المدرسين في الأعوام الأخيرة ، فكانت فرصة لمراجعات نحوية وصرفية وبلاغية وأدبية ، (غفل عنها أكثر مدرسي اللغة العربية) »

فالواقع — كما قلت — أن هذه المراجعات لا قيمة لها ، وأن ما له قيمة لم يغفل عنه أحد ، أو على الأقل لم تقم الوزارة بالإحصائية التي تؤيد هذا الزعم ، والأساتذة في المدارس لا يجوز التجني عليهم إلا بعد تثبت وتحقيق

أما غمزاته لأعضاء اللجان ، فذلك شأنه الخاص ، ولعل نقائص هذه اللجان كلها تنتفي عنها لو أتيح له أن يكون عضواً فيها ، وذلك مطلب لا أدرى ، أقريب هو أم بعيد على الدكتور ؟

« حلوان » سيد قطب

من بحوث مؤتمر التعليم

التعليم الأولى والالزامى

للأستاذ مصطفى شكرى بك

المراقب العـــام للتعليم الأولى

[استهل الأستاذ مصطفى بك شكرى المراقب العام لتعليم الأولى تقريره عن هذا التعليم ببيان مدى اهتمام الدول المختلفة به وما خصته به من اعتمادات كبيرة ، وتدرج من ذلك إلى ضرورة العناية به في مصر والعمل على ترقيته]

مراحل التعليم الأولى

استطرد التقرير فذكر المراحل المختلفة التي مر بها هذا النوع من التعليم في مصر منذ تولت أموره وزارة المعارف وهي ثلاث مراحل : أولها مرحلة الكتاتيب التي انحصرت مهمتها في تحفيظ القرآن وتعليم القراءة والكتابة ، ثم المرحلة الثانية التي صدر فيها قانون مجالس المديريات ، وأباح لها إنشاء المدارس الأولية ؛ وفي نفس هذا العصر قامت الوزارة بإنشاء مدارس المعلمين والمعلمات الأولية

ثم ذكر المرحلة الثالثة وهي التي بدأت بصدور الدستور عام ١٩٢٣ ، وما جاء فيه من أن التعليم الأولى إلزامي ومجاني بالمكاتب العامة ، وما تلا ذلك من إنشاء ١٢٧ مدرسة أولية سميت « مدارس المشروع » ، وكانت مجانية ، والدراسة فيها طول اليوم ، وكانت كالمدارس القديمة مع اهتمام بجعلها في أمكنة جديدة ، وتأثيثها تأثيثاً حسناً

وبعد ذلك قامت الوزارة باستعراض جميع النظم التي سبق التفكير فيها لتعميم التعليم الأولى ، وعدلت خطتها في تعميم هذا التعليم تعديلاً أساسياً ، وقررت مشروع التعليم الإلزامي الحالي على أساس أن نحو خمسة آلاف من المكاتب العامة تكفي لتعليم الأطفال من سن ٧ إلى سن ١٢ ، باعتبار أن اليوم المدرسي نصف نهار ، لتستعمل غرف الدراسة لطائفتين من الأطفال قبل الظهر وبعده ، وأن نفقات المعلمين تخفض إلى أدنى حد ممكن ، وقد قدرت نفقات هذا المشروع بما لا يتجاوز ثلاثة ملايين من الجنيهات ، ووزعت نفقاته على ٢٣ سنة (من سنة ١٩٢٥ إلى سنة ١٩٤٨) ، على أن تقوم الوزارة كل سنة بإنشاء عدد معين من المكاتب وتحول مدارسها القديمة ومدارس المشروع بالتدريج إلى النظام الجديد (نصف اليوم) ، على أن تتحمل الوزارة نفقات إعداد المعلمين ومرتباتهم ومرتبات الخدم وثمن الكتب والأدوات ونفقات التفتيش زيادة على نفقات ما ينشأ من هذه المكاتب في المحافظات . وتتحمل مجالس المديريات نفقات الأماكن وأعدادها ، وكذلك الأثاث ، وتتولى إدارة هذه المكاتب لجنة فنية تسمى : « لجنة التعليم الإلزامي » مكونة من بعض أعضاء المجالس وبعض موظفين يمثلون الوزارة

ولما صدر قانون التعليم الأولى لسنة ١٩٣٣ ، بدأت الوزارة بتحويل جميع مدارسها (عدا مدارس البنات في المحافظات) ، إلى نظام التعليم الإلزامي ، وأشارت على مجالس المديريات بأن

تنحو هـذا النحو فى مدارسها . وقد أدى التوسع فى التعليم وانتشاره إلى عجز ميزانيات المجالس عن تحمل نصيبها من النفقات ، فاضطرت الوزارة إلى أن تتحمل هذه النفقات

وفى أكتوبر سنة ١٩٣٤ أنشأت الوزارة فى الأقاليم ٧٢٠ مكتباً عاماً . وقد نص قانون التعليم الأولى بأن تتكفل مجالس المديريات بالتعليم الأولى فى المديريات ، وتتكفل به وزارة المعارف فى المحافظات .

وفى سنة ١٩٣٥ لاحظت الوزارة أن نظام المكاتب العامة لا يؤهل من يرغبون فى التعليم الابتدائى للحاق بمدارسه فى سن مبكرة ، وأن رياض الأطفال غير كافية لتحقيق هذا الغرض ؛ فأعادت إنشاء مدارس اليوم الكامل وجعلت التعليم فيها بالمصروفات ، ووضعت لها خطة خاصة تخالف خطة المكاتب العامة وأباحت قبول الأطفال فى سن الخامسة

وقد بدأ تنفيذ القانون المشار إليه فى نوفمبر سنة ١٩٣٦ ، ثم صدرت لائحة تنفيذية لذلك القانون فى نوفمبر سنة ١٩٤٠

وهى وإن كانت قد وسعت نطاق إشراف وزارة المعارف على التعليم الأولى بالأقاليم — إلا أنها لا تكفل تنظيم التعليم التنظيم الواجب — ولا تمكن الوزارة من النهوض به إلى المستوى الذى تنشده

اقتراحات المراقب لإدارة التعليم الأولى والإلزامى

ثم ذكر التقرير جملة اقتراحات قدمها الأستاذ المراقب لما يجب أن تكون عليه إدارة التعليم الأولى وهى :

١ — أن تتولى وزارة المعارف دون غيرها أمر الإشراف الفنى والصحى والإدارى على التعليم الأولى والإلزامى فى جميع أنحاء المملكة ، وأن يكون الإنفاق عليه من خزانة الدولة وفق الميزانية التى تضعها الوزارة على أن تضم النسبة المخصصة للتعليم الأولى بميزانيات مجالس المديريات إلى خزينة الدولة

٢ — تنظيم المراقبة العامة للتعليم الأولى تنظيماً يتفق مع أهمية هذا النوع من التعليم حتى تتمكن من مواجهة حركة الإصلاح بخطى ثابتة حاسمة

٣ — يلغى النظام الحالى لمديرى التعليم ونظام تفتيش المناطق للتعليم الأولى وتستبدل به وظيفة « مدير التعليم الأولى » بكل مديرية ومحافظة على أن يتبع مراقب المنطقة التعليمية . ويشرف هذا الموظف على سير التعليم الأولى والإلزامى وعلى تنفيذ الإلزام وفقاً لحاجة كل مديرية أو محافظة ، ويتبع كل مدير تعليم هيئة تفتيش لإرشاد رؤساء ومعلمى المدارس والمكاتب العامة على أن يشجع البرزون منهم بإفساح مجال الرقى لهم

٤ — تنظيم هيئة التفتيش الصحى على التلاميذ

٥ — إنشاء هيئة إدارية تختص بكل منطقة لإنجاز الأعمال على وجه السرعة

ثم أشار التقرير إلى ما يجب أن يكون عليه الغرض من التعليم الإلزامى وهو تثقيف الطفل تثقيفاً عاماً إلى جانب محو الأمية ، على ألا يكون التثقيف سطحياً ، بل مؤسساً على دعائم ثابتة متينة ويرى المراقب أن تبقى سن التلميذ كما هى الآن ، أى بين ٧ سنوات و ١٢ سـنة على أن تكون المكاتب على نظام اليوم الكامل ، وأن تكون مدة التعليم ٥ سنوات

نشر التعليم الإلزامى

دلت الإحصاءات على أن نسبة الأطفال المقيدين بالمدارس الأولية والمكاتب العامة تتراوح بين ثلث ونصف الأطفال الذين فى سن الإلزام ، وإذا سلمنا جدلاً بإمكان إعداد العدد اللازم من المعلمين والمعلمات لتعميم التعليم فإن تدبير الأماكن الصحية المناسبة وإعداد الأثاث والأدوات للتلاميذ ليس بالأمر الهين كما أن انتزاع هذا العدد من الأطفال من حياتهم اليومية مدعاة لتذمر الأهلين وهم لم يؤمنوا بعد بفوائد التعليم . ويرى التقرير — كإجراء تمهيدى — أن يقتصر التوسع فى تعليم الأطفال الذين فى سن الإلزام على المدن المتوسطة التى ازدهرت فيها بعض الصناعات . أما فيما يختص بالمحافظات والمدن الكبيرة فإن الحالة

تستمر فيها كما هي الآن حيث الإقبال على التعليم فيها مكفول بطبيعة الحال ، وأما فيما يختص بالقرى فإن التوسع فيها يكون بالتدريج وتقدر مدة تعميم التعليم الإلزامي على هذا الأساس بما لا يقل عن ١٥ سنة

مناهج الدراسة

وذكر التقرير جملة مقترحات لإكمال ما في مناهج الدراسة الحالية من نقص وهي تتلخص في جعلها مرنة حتى تناسب البيئة التي بها المدرسة وحذف بعض الموضوعات التي لا تتناسب وإدراك التلاميذ ووجوب الاهتمام بتدريس الأشغال اليدوية والتدبير المنزلي كما يرى تعيين بعض مدرسات رياض الأطفال في المدارس الأولية للبنات

نظام نصف اليوم

وانتقد التقرير نظام نصف اليوم ونادى بضرورة إعادة نظام اليوم الكامل لجملة أسباب : منها أن المقصود من التعليم الأولى هو إعداد الناشئين إعداداً حسناً لا أن يكون تعليمهم سطحياً وإلا كان في ذلك إسراف دون فائدة . ثم إن نظام اليوم الكامل يؤدي إلى مواظبة التلاميذ وخصوصاً في القرى وبذا تقل قيمة ما يتكلفه الواحد منهم في المتوسط

وزيادة على ذلك فإن المنهج الحالي هو الحد الأدنى لما يجب أن يتلقاه التلميذ ، ولا يمكن تلقينه له في أقل من خمس سنوات كاملة ، كما أن هذا النظام ييسر أداء كل من التلميذ والمعلم لعمله ويدفع التلميذ إلى الإقبال على المكتب ويحببه فيه . ورد التقرير على ما يمكن أن يوجه من اعتراض على نظام اليوم الكامل بأنه يباعد بين التلميذ والعمل في الحقل أو المصنع نخلص بأن ذلك وإن كان صحيحاً في القرى الزراعية إلا أنه ليس كذلك في الجهات الصناعية لأن الصغير لا يصلح للأعمال الصناعية في مثل هذه السن المبكرة

اعداد المدرسين ورفع مستواهم

وختم المراقب تقريره بذكر حالة المدرسين وسوء إعدادهم لوظائفهم وضآلة مرتباتهم التي تتراوح بين ثلاثة وستة جنيهات مما يؤثر في حالتهم المعنوية وإقبالهم على عملهم

واقترح أن يرفع مستوى مدرسي الإلزام وزيادة ثقافتهم العلمية ، وذلك أثناء إعدادهم في مدارس المعلمين والمعلمات الأولية ، كما يجب الاهتمام برفع مستوى المدرسين الحاليين بإرشادهم ، والنهوض بهم علمياً وفنياً واجتماعياً ، كما نادى بوجوب تأمين المدرس على حالته ومستقبله ، حتى يعلم أن ترقيته لن تكون إلا نتيجة اجتهاده فقط ، كما يجب تخفيض عدد الدروس التي يكلف بها كل مدرس ، حتى لا تتجاوز ٣٤ درساً ، وهي الآن ٤٦ درساً في المتوسط ، كما رأى ضرورة رفع مرتباتهم ، حتى يليق بعملهم وتوازي ما يبذلونه من مجهود شاق

٨ ـ المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

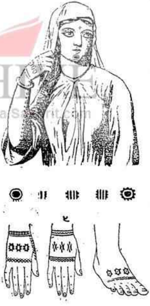
في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الأول

هنـاك عادة أخرى لا تختلف كثيراً عن عادة الخضاب شائعة بين نساء الدهماء في مدن الريف وقراه ، وفي العاصمة بدرجة أقل : تلك هي عادة الوشم « الدق » ، يكون في الوجه وغيره أو على الأقل في أعلى الذقن وظهر اليد اليمنى، واليسرى أحياناً ، وعلى الذراع اليمنى أو الذراعين معاً ، وفي القدم، ووسط الصدر ، والجبهة . وأغلب علامات الذقن والـكفين شـيوعاً يبينها الشـكل رقم ٢٢ . وطريقة الوشم أن يوخز الجلد بمجموعة من الإبر تكون سبعاً في العادة على الشكل المراد رسمه، ثم يدلك الموضع بمزيج من سناج الخشب أو الزيت ومن لبن امرأة .



شكل ٢٢
١ ـ (فتاة موشومة)
٢ ـ (نماذج من وشم الذقن)
٣ ـ (وشم الأيدي والأقدام)

ثم بعد أسبوع ، قبل أن يبرأ الجرح ، يوضع عليه معجون من أوراق الساق الطازجة أو البرسيم فيكسبه لوناً أزرق أو مشرباً بالخضرة ؛ أو بدلاً من ذلك يدعك مكان الإبر بالنيلج .

وتوشم الأعضاء عادة في سن الخامسة أو السادسة وتقوم بعمله نساء النور . ويلاحظ أن أغلب نساء الصعيد الأقصى وهن يحترن بلونهن القاتم يشمن الشفاه ليكسبن أسنانهن بريقاً . إلا أن ذلك يُشرب لونهن القاتم زرقة لا يقبلها الذوق الأوربي[1]

ومن مميزات المصرية الواجب ذكرها قوامها الممشوق ومشيتها الجميلة . وهذه الصفة تشاهد خصوصاً في الفلاحة . ولا شك أن سبب ذلك ما تحمله على رأسها من جرار الماء وغيرها من الأثقال

أما ملابس نساء الطبقتين الوسـطى والعليا فتمتاز بجمال نسيجهـا وأناقـة زيها (شكل ٢٣) وقميص المـرأة كقميص الرجل فضفاض ، ولـكنه قصير فلا يكاد يصل إلى الركبتين . وهو أيضاً من النسيج نفسه ، أو من الكريب أسود أو غير أسود . أما السراويل، وتسمى « شنتيان » فهي واسعة ، وتكون من الحرير أو القطن المفوّف أو المطبوع أو المطرز أو من الأبيض الواحد الشكل . وتشد بتكة حول



شكل ٢٣ ـ (ملابس المنزل)

---

(١) أما المادة المستعملة عادة لنتف الشعر فهي نوع من الصمغ المسمى لبان شامي ، يوضع على الجلد ذائبا ، إلا أن هذه العملية ليست على حد قولهم ضرورية ؛ لأنه إذا وضع كما يؤكدون دم خفاش على بشرة الطفلة الحديثة الولادة لا ينبت فيها شعر

وتسمى المرأة التي عملت لها هذه العملية « مُوَطوَطَة » من الوطواط . ويعمد بعض النساء إلى نتف الشعر بعد ذلك الموضع برماد الفحم فقط .

الوركين تحت القميص(١) أما أطرافها السفلى فتشد إلى أعلى وتربط تحت الركبتين تماماً ، إلا أن طولها يهبط بها حتى القدمين وغالباً إلى الأرض . ويلبس فوق القميص والشنتيان سترة طويلة تسمى « يلك » من نسيج الشنتيان ، تشبه القفطان ، ولكنها أكثر التصاقاً بالجسم والذراعين ، وأكمامها أطول . واليلك له أزرار تشده إلى الجسم ، من الصدر إلى ما تحت الحزام حتى لا يتهدل ، كما هو الحال في القفطان . وهو مشقوق الجانبين من أعلى الورك إلى أسفل ، ويشق عادة بحيث يكشف عن نصف الصدر لولا القميص . ولذلك كان الكثير من النساء يرتدين قميصاً واسع الصدر . ولا بد أن يكون اليلك طبقاً لأحسن الأزياء ضافياً حتى الأرض أو يكون له ذيل قصير . وقد يستبدل به صدرة قصيرة تسمى « عنترى » تصل إلى ما تحت الوسط بقليل وتشبه اليلك المقطوع الأسفل . ويمنطق الوسط بشال مربع أو بمنديل مطرز يطوى منحرفاً ويربط في استرخاء ويتدلى طرفاه خلف الظهر . وقد يطوى طبقاً لزي التركي ، مثل حزام الرجال ، وإنما يكون أكثر استرخاء . ويوضع فوق اليلك جبة من الجوخ أو المخمل أو الحرير مطرزة بالذهب أو بالحرير الملون ، وهي تختلف عن جبة الرجال بعدم سعتها ، وبالأخص في مقدمها ؛ وتكون بطول اليلك . وكثيراً ما يستعمل بدلها سترة تسمى « سلطة » من الجوخ أو المخمل مطرزة على غرار الجبة . ويتكون غطاء الرأس من طاقية وطربوش ثم منديل مربع يسمى « فارودية » من الوصلى الموشى أو المطبوع ، أو من الكريب ، يلف حولها بقوة ويسمى هذا « رَبطة » . وكانت هذه المناديل تستعمل منذ قريب ، ولا زالت تستعمل أحياناً لربط عمائم النساء التي تكون مرتفعة مستوية بخلاف عمائم الرجال . وهناك نوع من التيجان يسمى « قرصاً » . وبعض الحلى الأخرى توضع على غطاء الرأس . وقد ألحقت بهذا الكتاب فصلاً خاصاً بحلى النساء وصفها وصورها . وهناك أيضاً « الطرحة » وهي قطعة طويلة من الوصلى الأبيض محبوكة الطرفين بالحرير الملون والذهب ، أو من الكريب الملون المرصع بأسلاك الذهب وصفائح ذهبية كفلوس السمك (ترتر) ، تطرح فوق الرأس وتتدلى على الظهر حتى تكاد تدانى الأرض أحياناً

(١) أما التركيات ، كما قيل لي ، فهن يربطن سراويلهن فوق القميص .

أما الشعر ، فيضفر ضفائر ، من إحدى عشرة ضفيرة إلى خمس وعشرين عادة ، على أن يكون العدد فردياً ؛ ويضاف إلى كل جديلة ثلاثة خيوط من الحرير الأسود ، يعلق بها قطع ذهبية صغيرة تسمى : « صفا » وهي موصوفة في ملحق الكتاب . ويقص الشعر فوق الجبهة وتتدلى منه على الصدغين خصلتان غزيرتان(١) حلقاً أو جدائل(٢) والقليل من سيدات مصر يلبسن الجوارب، غير أن أكثرهن ينتعلن المز (أي الحذاء الداخلي) وهو من الجلد المراكشي



(شكل ٢٤)
سيدة متحلية بالقرص والصفا

الأصفر أو الأحمر المطرز بالذهب أحياناً . وينتعلن بابوجاً من الجلد المراكشي الأصفر ، مرتفع الطرف الأمامي مدببه ، عندما يمشين على البسط والحصر ، أو يستعملن قبقاباً(٣) يعلو إلى تسع بوصات ولا يقل عن أربع ، ويزين بالصدف أو بالفضة . . . الخ ؛ والقبقاب يستعمله الرجال والنساء في الحمام دائماً ، ولا يستعمله النساء في المنزل ؛ إلا أن بعضهن ينتعلنه حتى لا يسحبن ذيل الثوب على الأرض ، وبعضهن يتخذنه ليبدون طويلات . . .

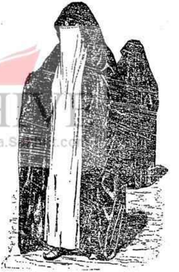
تلك هي ملابس السيدات داخل المنزل ؛ أما ثياب الخروج ، فتسمى « تزييرة » ؛ فالسيدات كلما يخرجن من المنزل يتدثرن — علاوة على الملابس السابق وصفها — بدثار كبير فضفاض

(١) تسمى الواحدة منها « مقصوصا »

(٢) ويقسم النساء بمقصوصهن — كما يقسم الرجال بلحيتهم — فيمسكنه باليد صائحات : « وحياة مقصوصى »

(٣) ويسمى عادة « قُبقاب » بالضم

شاف (يسمى « توب » أو « بِسِيلة ») ، يكاد عرض كمّه يعادل طوله[1] ، ويكون من الحرير الوردى أو البنفسجى ؛ ثم يضمن بعد ذلك « البرقع » — أى غطاء الوجه — وهو عبارة عن قطعة طويلة من الموصلى الأبيض تحجب الوجه كله ما عدا العينين ، وتسقط حتى القدمين . ويشد البرقع إلى الرأس بشريط ضيق يمر على الجبهة ، ويخاط مع طرفى النقاب الأعليين بعصابة تلف حول الرأس ، ثم يرتدين « الحَبَرَة » . وحبرة السيدة المتزوجة تتكون من نسجين من الحرير الأسود اللامع ، ويوجد فى أعلى الحبره من الداخل — على بعد ست بوصات من طرفها — رباط ضيق من الحرير الأسود يربط حول الرأس . ويبين الشكل رقم ٢٥ طريقة لبسها . إلا أن البعض يقلدن تركيات مصر فيضممن مقدم الحبرة ، بحيث تخفى الملابس كلها ما عدا جزءاً من النقاب يعلو اليدين . أما غير المتزوجات فيرتدين حبرة من الحرير الأبيض



شكل ٢٥ — (زى الخروج)

أو شالاً . وبعض نساء الطبقات الوسطى لا يستطعن اقتناء الحبرة فيلبسن عوضاً عنها « إزاراً » — وهو قطعة بيضاء من نسيج القطن على شكل الحبرة ويلبس مثلها . أما الحذاء ، فهو « خف » من الجلد الأصفر يدخل فى بابوج

وثياب الخروج متعبة مربكة عند المشى ، وهى وإن كانت محتملة لدى سيدات الطبقة الراقية اللائى قلما يشاهدن راجلات ، فقد يرتديها غيرهن ممن لا يملكن أجرة الركوب . وإعداد هذه الملابس لإخفاء زينة المرأة وكل ما فيها من جاذبية أو ملاحة لا عيب فيه ، إذ أن الثوب ذاته يعوزه الكثير من الأناقة . إلا أن هناك اعتباراً يقتضينا أن نلاحظ عدم ملاءمة هذه الثياب لغرضها الأصلى ، وهو أن العيون التى تكاد تكون دائماً جميلة تزيدها جمالاً حجب تقاطيع الوجه التى يندر أن يبلغ جمالها جمال العين ؛ ثم إنها تجعل الأجنبى يتصور الوجه الجذاب وجهاً معيباً دميماً لاختفائه وراء القناع . ويرجع استعمال النقاب إلى قديم الزمن ، غير أن الظاهر من نقوش الفراعنة ورسومهم أن المصريات فى ذلك العهد كن سافرات ، ولكنهن فى الوقت الحاضر — حتى الخادمات منهن — يتخذن من فضل طرحتهن قناعاً يخفين وراءه الوجه ، إلا عيناً واحدة ، كما وجدن فى حضرة رجال العائلة التى يخدمنها

(يتبع) عدلى طاهر نور

(١) مثل توب نساء الطبقة الدنيا كما فى الشكل رقم ٢٦

غالية ... فى لبنان

للأستاذ أنور العطار

أَتَدْرِينَ أَنَّكِ أَحْلامِيَهْ ... وَأَنَّكِ أَعْذَبُ أَنْغَامِيَهْ
وَأَنَّ خَيَالَكِ فى خَاطِرِى ... يَرِفُّ كَزَنْبَقَةٍ نَادِيَهْ
وَأَنَّكِ أَشْعَارِىَ الهاجِسَاتُ ... بِنَفْسِىَ فى الْعُزْلَةِ الْقَاسِيَهْ

***

ذَكَرْتُكِ وَالقَلْبُ نَهْبُ الفُتُونِ ... رَهِينُ الرُّؤَى الْحُلْوَةِ الوَافِيَهْ
وَ(لُبْنَانُ) يَسْبَحُ فى نَشْوَةٍ ... مِنَ السِّحْرِ وَالْحُبِّ وَالْعَافِيَهْ
تَوَشَّحَ بِالْعَبَقِ الْمُسْتَطَابِ ... وَغَامَلَ فى الْبَهْجَةِ الضَّافِيَهْ
وَنَامَ عَلَى شُرُفَاتِ الْغَمَامِ ... وَطَافَتْ بِهِ الْخُضْرَةُ الْحَالِيَهْ
تَنَاثَرُ فَوْقَ الرَّوَابِى قُرَاهُ ... كَمَا تَتَنَاثَرُ آمَالِيَهْ
عَلَى كُلِّ مَائِسَةٍ صَادِحٌ ... وَفى كُلِّ وَارِفَةٍ شَادِيَهْ
وَتُصْغِى الوِهَادُ إلى قِصَّةٍ ... مِنَ الْحُبِّ تَسْرُدُهَا السَّاقِيَهْ
وَقَدْ أَنْصَتَ الْكَوْنُ إِلَّا صَدًى ... يُرَدِّدُ أُنْشُودَةَ الرَّاعِيَهْ
تَطَلَّعُ فى زَهْوِهَا الرَّاسِيَاتُ ... حَنِيناً إلى عَوْدَةِ الثَّاغِيَهْ
وَنَمَّ عَلَى الدَّرْبِ سِحْرُ الْغِنَاءِ ... فَأَغْفَى عَلَى النَّغْمَةِ الشَّاجِيَهْ
وَظَلَّ الْمَسَاءُ يَحُومُ عَلَيْهِ ... وَيَرْعَاهُ بِالْمُقْلَةِ الرَّانِيَهْ
وَفى خَلْوَةِ الوَادِ نَبْعٌ حَبِيبٌ ... يُهَدْهِدُ أَوْجَاعَهُ الْبَاكِيَهْ
كَأَنَّ عَلَى النَّبْعِ قِيثَارَةً ... تَنُوحُ مُلَوَّعَةً شَاكِيَهْ
وَ(بَيْرُوتُ) نَائِمَةٌ فى السُّفُوحِ ... تُتَمِّمُ أَحْلامَهَا الزَّاهِيَهْ
تَرَامَتْ عَلَى الْبَحْرِ مَأْخُوذَةً ... تُنَاجِيهِ حَانِيَةً صَابِيَهْ
قَصَائِدُ حَافِلَةٌ بِالطُّيُوبِ ... يَمُوجُ بِهَا السَّهْلُ وَالرَّابِيَهْ
تَغَنَّى اللَّيَالِى بِأَلْحَانِهَا ... فَتَغْرَقُ فى سَكْرَةٍ بَاقِيَهْ

***

... ...

رَأَيْتُكِ (لُبْنَانِىَ) الْمُشْتَهَى ... وَجَنَّتَهُ اللَّذَّةَ الشَّافِيَهْ
وَأَبْصَرْتُ وَجْهَكِ يَطْفُو عَلَيْهِ ... وَيَغْمُرُ أَرْجَاءَهُ النَّائِيَهْ
... فَغَابَتْ مَسَارِحُهُ الْغَالِيَاتُ ... وَلَمْ يَبْقَ غَيْرُكِ يَا (غَالِيَهْ)

(عاريا — لبنان) أنور العطار

أغنيـــة البحيرة

[مهداة إلى ناظم « أغنية الجندول » وملحنها البارع]

للأديب حسن أحمد باكثير

إن رأيتِ الصبح يبدى لكِ سحره ... فاذكرينى واذكرى يوم البحيره
يوم أقبلتِ وفى يمناكِ زهره ... قد حكت من وجهك الوضاح ثغره
ونسيم الصبح يُهدى لكِ عطره ... والندى يكسو وجوه الزهر نضره
فمرتنى – حينما سلمتِ – حيره ... أأداري القلب أم أعلن سره ؟
وأوارى الحب أم أظهر أمره
أنتِ يامن وشحت بالزهر عمري ... وأضاءت بشعاع الطهر صدرى
أذكرينى واذكرى يوم البحيرة

***

لم أعد أذكر إلا أن نظره ... أشعلت فى قلبىَ الولهان جمره
وأطارت من حنايا الصدر زفره ... وأسالت من سواد العين عبره
وجنَت للروح تهياماً وحسره ... يا لَسحر الحب! ما أفتك سحره!
يأسر القلب وما أعذب أسره! ... إن أكن أُنسيت ما أُنسيت ذكره
ليتنى – إذ ذُقته – ما ذُقت مُرَّه
أنتِ يامن وشحت بالورد عمرى ... وأضاءت بشعاع الخلد صدرى
اذكرينى واذكرى يوم البحيرة

***

واذكرى إذ قلتُ: هذا اليوم غُره ... فى جبين العمر فانشقّ بِشره
وانثرى من ثغركِ الفتان دُرَّه ... وانشري من شعركِ الوسنان عِطره
أو دعينى أرتشف من فيك خمره ... أو أقبلْ خدَّكِ الوردىّ مَره

البريد الأدبي

جواب

وأجيب عن السؤال الثانى بأن « الهناء » فى « تاج اللغة وصحاح العربية » من صحاح اللسان العربىّ ، دام الهناء للسائل الفاضل .

« رميد »

هما لابن عبد ربه

سأل الأديب أحمد حسن على شعيب فى (العدد ٤٢٩) عن مقطوعتين من الشعر نسبتا فى اليتيمة إلى حبيب بن أحمد الأندلسى وعزاهما ابن عبد ربه إلى نفسه فى «العقد» . والذى ترجحه أنهما لابن عبد ربه ، لأن الفتح بن خاقان ذكرهما مع شعر لابن عبد ربه فى ترجمته من «مطمح الأنفس» ص٥٨ ، ولأنه عرف عن الثعالبى أنه ينسب شعراً إلى غير قائليه ، وقد نبه على ذلك الأستاذ الصاوى فى كتابه « المراجع العربية » عند الكلام على « يتيمة الدهر » وأورد أمثلة (ص ٤٥ و ٤٦) منها نسبته شعراً إلى سيف الدولة . قال ابن رشيق إنه لابن الرومى ، وأبياتاً أخرى لسيف الدولة أيضاً قال ابن خلكان إنه رآها فى ديوان عبد المحسن الصورى . بل أنه – أى الثعالبى – عزا مقطوعة لأبى المطاع الحمدانى ذى القرنين ، ثم نسبها بعينها إلى ابن طباطبا الرسى المصرى ، وهى تروى ليزيد بن معاوية وغيره ، انظر ص ٣٢ المراجع العربية . وإنا لتحقيق الأستاذ النشاشيبى لمرتقبون

أحمد صفوان

فتصامتِ كما لو كنتِ صخره ... ومرت فى وجهكِ الأخاذ حُمره
طرباً أخفقتِ إذ حاولتِ ستره

أنت يا من عطَّرت بالحب عمرى ... وأضاءت بشعاع القلب صدرى
اذكرينى واذكرى يوم البحيرة

واذكرى الزورق إذ أوقفتُ سيره ... بعد ما اجتاز بنا عرض البحيره
فانتحينا مجلساً تحت شُجيره ... مجلساً حُفَّ بماء وبخضره
وبأزهار حباها الفجر طهره ... ومروج تلهم الشاعر شعره
فسكرنا عنده بالحب سكره ... لم تدم إلا كما تخطر خطره
آه لو عادت وعادت ألف مره

أنت يا من عطَّرت بالحب عمرى ... وأضاءت بشعاع القلب صدرى
اذكرينى واذكرى يوم البحيرة

على أحمد باكثير

تحقيق فى نسبة حديث

جاء فى مقال غزوة حنين (العدد ٤١٧) من الرسالة : أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن الخوارج : « أكفار هم أم منافقون » ؟ فأجاب : « من الكفر فروا » . لا ، إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً ، وهؤلاء يذكرون الله كثيراً » . فكتبت فى العدد (٤٢٢) أستبعد نسبة هذا الكلام إليه ، وقطعت بأنه من كلام علىّ بن أبى طالب . فجاء الكاتب الفاضل صاحب المقال يسأل فى العدد (٤٢٣) عن المصدر الذى نسب هذا القول إلى علىّ ، ويذكر أن مصدره هو : (السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٤٠) . ويقول فى ختام كلمته : « ليس هناك ما يمنع صحة هذه النسبة إلى النبى على سبيل القطع »

فمن الخير أن نبين ما يمنع صحة هذه النسبة :

١ — كانت نشأة الخوارج بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بأكثر من ربع قرن وعرفوا بهذا الاسم لخروجهم على علىّ فى حرب صفين

٢ — إذا جعلنا صدور هذا الكلام عن النبى من باب الإخبار بالمغيبات اعترضنا أمران : الأول أن الأحاديث المأثورة فى هذا الباب تذكر صفات عامة ولا تسمى أشخاصاً ولا فرقاً بأسمائها . والثانى أن الصحابة الكرام لا علم لهم بالمغيبات ، فكيف وقع إليهم إسم (الخوارج) حتى يسألوا عنه . ونحن نعرف أحاديث كثيرة يجعلها المحدثون فى باب الكلام على الخوارج ، إلا أنها جميعاً ليس فيها هذا الإسم ؛ حتى أن ابن عمر وغيره كانوا إذا سئلوا عن الخوارج (بعد سنة ٣٦ هـ طبعاً) حدثوا بهذه الأحاديث التى فيها صفات قد تنطبق عليهم باجتهاد الراوى . وانظر فى ذلك ما جاء فى كتب الحديث بدلالة (مفتاح كنوز السنة : الخوارج) فى أكثر من عشرين موضعاً

٣ — هـذا الـكلام المنسوب إلى رسول الله ، المنقول من السيرة الحلبية يناقض ما قبله وما بعده فيها من الأحاديث الصحيحة كل المناقضة : فبينا يورد صاحب هـذه السيرة (٣ : ١٤٠) أحاديث فى كفرهم ووجوب قتالهم نرى هذا الـكلام ينفى عنهم الـكفر والنفاق صراحة

٤ — لو صح عن النبى شىء فيهم بصراحة ، ما وسع علياً أن يقول موصياً فيهم : « لا تقاتلوا الخوارج بعدى ، فليس من طلب الحق فأخطأ كمن طلب الباطل فأدركه » ، ولو صح ذلك ما جاز لابن عباس أن يقول فيهم لعلى : « والله ما سيماهم بسيما المنافقين وإن بين أعينهم لأثر السجود وهم يتأولون » ، وإنما المعقول أن يستشهدا بما قال النبى صلى الله عليه وسلم . ولو صح ذلك أيضاً لما جملهم المحدثون (البخارى ومسلم وأحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه) ممن تنطبق عليهم أحاديث المروق اجتهاداً منهم . أما سندى فى عزو هذا الكلام إلى صاحبه على بن أبى طالب فهو العقد الفريد وقد سهوت فذكرت الخوارج فى العدد (٤٢٢) وإنما هو فى أصحاب الجمل ورأى على فى الخوارج هو هو نفسه فى أصحاب الجمل على ما ذكرت لك آنفاً فى وصيته فيهم . جاء فى العقد الفريد : (ج ٣ ص ١٠٥ المطبعة الأزهرية سنة ١٩٢٨ . سئل على عن أصحاب الجمل : «أمشركون هم؟» فقال : « من الشرك فروا » قال : « فمنافقون ؟ » قال : « إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً » قال : « فما هم ؟ » قال : « إخواننا بغوا علينا »

ولعل أطرف الأشياء وأعجبها السند الجديد الذى أظفرنى به السائل . إن سندى فى نفى هذا الـكلام عن النبى صلى الله عليه وسلم هو السند نفسه الذى أحتج به فى نسبته إليه ، وسأنقل الفقرة نفسها مع ما قبلها ليتبين الحق على وجهه . جاء فى السيرة الحلبية (ج ٣ ص ١٢٠) ما نصه : « وقد قاتلهم (يعنى الخوارج) على كرم الله وجهه وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن الخوارج « أهم كفار » فقال : « من الكفر فروا » فقيل : « أمنافقون ؟ » فقال : « إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً وهؤلاء يذكرون الله كثيراً » فقيل : « ما هم ؟ » فقال : أصابتهم فتنة فعموا وصموا » فلم يجعلهم صلى الله عليه وسلم كفاراً لأنهم تعلقوا بضرب من التأويل

ألا يرى معى الـكاتب الفاضل والقراء الكرام أن (صلى الله عليه وسلم) الواردة بعد (سئل) وبعد يجوز أن تكون (يجعلهم) خطأ من ناسخ أو طابع ، وأن الكلام يستقيم بدونها ويتجه إلى الصواب ، فيكون من كلام على ويطابق ما جاء فى المصادر الصحيحة كلها . وذلك من أغرب ما يوقع به سهو أو خطأ . وسيبقى هـذا خطأ حتى يثبت بطريق صحيح ينسبه إلى النبى صلى الله عليه وسلم

« دمشق » سعيد الأفغانى

حول نقد كليلة ودمنة

طالعت باهتمام ما كتبه الأستاذ عبد السلام هارون فى نقد وتعليق على الطبعة الأخيرة لـكتاب « كليلة ودمنة » وقد رأيت أن أعلق على تعليقه الثالث المنشور بعدد (الرسالة) رقم ٤٢٨ على نقاط ثلاث لم يصحبه التوفيق فيها :

الأولى : « إذا جئتنى بالليل من غير نداء ولا رى ، ولا شىء رناب به » ؟ يتساءل الأستاذ بعدها بقوله : « فما ذلك الرى ؟ » ويرجح أنها مصحفة « من الرمز » ، والحقيقة أن كلمة « الرى » صحيحة وملائمة ، وليس هناك ما يحمل على العدول عنها ، بل توجد ما يوجب التمسك بها ، فالرى بحجر أو حصاة وسيلة معروفة من وسائل التنبيه عند القدامى والمحدثين وهو أدعى إلى الارتياب ، ويفسر له ذلك ما روى فى نوادر ابن أبى عتيق : « عبد الله ابن محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق » قيل : وتمشى عبد الله ليلة ومعه رجل من الأنصار ، فوقع حجر فى الدار ، ووقع آخر وثالث ؛ فقال للجارية : اخرجى فانظرى أذّنوا المغرب أم لا ؟ فخرجت وجاءت بعد ساعة وقالت : أذنوا وصلوا ؛ فقال الرجل الذى كان عنده : أليس قد صلينا قبل أن تدخل الجارية ؟! قال : بلى ، ولكن لو لم أرسلها تسأل عن ذلك لرُجمنا إلى الغداة أفهمت ؟ قال : نعم قد فهمت[1]

وواضح من هذا أن صديقاً للجارية كان يدعوها بالرى

الثانية : « رأس الخنازير » و « سيد الخنازير » ، يرجح الأستاذ أنها « رأس الخبازين » ؛ ولا أدرى لمن يخبز هذا الخباز ومن الذى سيأكل خبزه من السباع الضارية ؟! ويؤيد الأستاذ ظنه بأنه قد أشير إليه فى بعض النسخ بعبارة « صاحب المائدة »

(١) نهاية الأرب ج ٤ ص ٧

وهذا دليل لا يقدم ولا يؤخر ، فما المانع من أن يكون « رأس الخنازير » هو « صاحب المائدة » في نفس الوقت ، وهذا هو الواقع ، وهو من دلائل الحبكة القصصية عند المؤلف ، حيث جعل الأسد يأمر بعزله عن وظيفة القيام على مائدته بعد ما تحدث « دمنة » عن قذارته ودمامته ، ولا أفهم كيف تدل كلمة « صاحب المائدة » على الخبازة ، ومائدة الأسد معروفة ألوانها ! وقد التفت إلى ذلك الأستاذ المرصفي في طبعته المصورة فقال : « وسيد الخنازير هذا كان خادماً على مائدة الملك ، كما يفهم مما بعد ... الخ »

الثالثة : « وانقلبت ظهراً لبطن ، وانجررت حتى دخلت جحرى » ويسأل حضرته قائلاً : « فماذا جره حتى انجر ؟ إنما هي : وانحدرت » ونحن نسأله على طريقته « ماذا قلبه حتى انقلب؟ وماذا حدره حتى انحدر؟» ، فهذا الفعل المطاوع لا غبار عليه البتة ، وأمثاله كُثْرٌ في اللغة ، وهذا الفعل بالذات تقول عنه المعاجم : وقد جَرَّت الإبل تجر جراً إذا رَعَتْ وهي تسير ، أو الجرُّ أن تركب الناقة وتتركها ترعى ، وقد جرها يجرها « كالانجرار » فيهما ، وأنشد ابن الأعرابي :

« إني على أوْني وانجراري »

وهذه الأفعال المطاوعة — كانتشر وانكمش وانتقل — مطاوعة لعامل ذاتي لا لعامل خارجيّ ، أي تتجاوب مع عامل طبيعي فيها ، فهو قد قلب نفسه فانقلب ، وجر نفسه فانجر ، وحدر نفسه فانحدر .

هذا ما وجدته حرياً بالتنبيه عليه حتى لا يتهم الأستاذ الفاضل بالتكلف أو التحامل ... وأعيذه منهما .

حسين منصور

حول كتاب « محمد فريد » أيضاً

في العدد ٤٢٩ من الرسالة وفينا هذا الكتاب القيم حقه من التقدير ، وأشرنا إلى أن المؤلف الفاضل قد تعقب زعيما بعينه في مواضع لم يكن التعقب فيها حتما عليه . وقد أنكر علينا أديب في العدد الماضي هذا القول وطالبنا بالمثال . ونحن نكتفي بأن ندله على الصفحات الآتية من الكتاب وهي صفحات : ١٨٨ و ٢٦٠ و ٣٥٥ و ٣٥٦ و ٣٨٨ و ٤١٢ ، فإن فيها مقنعاً لمن يريد أن يقتنع

لبيب السعيد

محنة التعليم

أخي الأستاذ علي عبد الله

قرأت في العدد ٤٢٣ كلمتك في محنة التعليم الإلزامي ، فلم أعجب للفوضى التي وصفتها فيه ، والنظم الجائرة المطبقة عليه ؛ ذلك لأن المصيبة عندنا في نظم التعليم وأساليبه ليست بأقل من مصيبتكم فيه إن لم أقل أشد وأفدح . أما العدل فلا عدل ، أما التقدير فلا تقدير .

ترى المعلم النشيط ذا الوجدان الطاهر يلقي دروسه على طلابه من الصباح إلى المساء ، باذلا من الجهد ما يضني جسمه ، مجرباً كل الوسائل الممكنة لإفهام الطلاب تنشئة صالحة قويمة ، وترى إلى جانبه المعلم الجاهل يقضي نهاره في راحة ودعة ، لأنه فقد الضمير والوجدان . فماذا تجد ؟

يحزنني والله أن أخبرك أن الأول مظلوم مهمل مغضوب عليه ، وأن الآخر مرضي عنه حائز ثقة رؤسائه ، يزيد مرتبه على مرتب ذاك زيادة قد تبلغ الضعف أحياناً . ولعلك تستغرب هذا وتود أن تعلم السبب في ذلك :

هناك أسباب كثيرة أجدرها بالذكر أن الأول لا ينافق ولا يماري ، ولا يتملق أولي الأمر ، وأن تقدير قيمة المعلم وقيمة عمله متوقف على تقارير المفتشين ، ولا أكتمك أن في هؤلاء المفتشين من برع في الرياضيات والطبيعيات براعة فائقة ، ولكنه لا يعرف من اللغة العربية إلا مبادئ لا تغنيه . ولو أن وزارة المعارف ولتهم تعليم ما اختصوا به لما عدت سبيل الحق ، ولأفاد الناشئون منهم ومن علمهم

وناحية أخرى ، هي أن قيمة المعلم — لدى أولي الأمر — لا بعلمه وفضله ، ولكن بما يحمل من شهادات ! فكلما كانت شهاداته أكثر كان أعلم وأفضل ، وهذه طريقة لا نراها عادلة كل العدل — وعلى الأخص في دروس اللغة العربية

وأنا مشفق بعد هذا — مثلك — من أن أذكر كل ما أعرف ، فلا تحزن يا صاحبي ، وليكفك أن وجدانك مستريح وأن ثوابك غداً عند الله لا في هذه الدنيا

(دمشق) ناجي الطنطاوي

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)